

محمود شاكر

الْقَامِطَةُ

المكتب الاسلامي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٩٨٤ هـ - ١٤٠٤ م

المكتب الاسلامي

بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقياً: اسلامياً
دمشق: ص.ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقياً: اسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد: فان القرامطة قد قاموا بحركاتهم في عدة مناطق تشابهت في بعض جوانبها وتباينت في أخرى ، واجتمعت على شيء واحد في محاربة الإسلام وارتكاب الكبائر ، وهتك الأعراض ، وسفك الدماء ، والسطو على الاملاك ، إرواء لاحقادهم الدفينة ضد الاسلام ، واشباعاً لفرائزهم الحيوانية ، ورغبة من زعمائهم في السيطرة والتسلط والتشفي ، واشباع كمانن النفوس .

وقد كتب عنهم معاصروهم ، وبيتوا خطتهم هذه ، كما ذكر المؤرخون اعمالهم كلها . . . كتب الطبري والغازي وابن الجوزي وابن كثير والشهرستاني وابن الأثير وجميع المؤرخين ، فاعطوهم حقهم تماماً ووضّحوا حقيقتهم واهدافهم ومقاصدهم ووسائلهم التي اتبعوها حتى غدت صورتهم كاملة في النفوس ، وتمثل ابشع صورة لجماعة نائرة على وضع ، حاقدة على مجتمع ، تسير وراء أهوائها وتتبع غرائزها .

ومرت القرون والصورة ثابتة في الأذهان ، ولم يكن احد يتوقع ان ياتي يوم تتغير فيه المفاهيم وتتبدل المعايير ، ويصبح السوء فضيلة ، والخير رذيلة ، والظلم عدلاً ، وتبرر اعمال القتل ، ويسمح بسفك الدماء ، ويتفنى بهتك الأعراض ، ويكون من اجل الأعمال واطيها الشيوعية في النساء ويصبح القرامطة اهل فضيلة واصحاب

خير ودعاة حق يفتخر بهم موجهون لاجتمع، ويعتز بهم مخططون لامة حتى ولو كانوا ممن يرضون عن هذه الاعمال . فان اصعب شيء على النفس ان تجد ذا سوء يتغنى بعمله الناس وصاحب رذيلة يتلى في المحافل حمده على الرغم من اعماله المتكررة في السوء المبينة للخير والفضيلة .

وقد اوضحت حركة القرامطة - مع الاسف - في بعض الامكنة انموذجاً تحرص بعض الجهات على الاقتداء به والدعوة إليه ، لذا كان لزاماً ان تعاد الصورة عن هذه الجماعة لتتوضح للناس حقيقة القرامطة ، مع العلم ان هذه الصورة لاتزيد عما كتبه السابقون بل تعد مصفرة عما بحثه اولئك المؤرخون الافذاذ .

ولم يكن القرامطة اول دعاة لمبديهم هذا ، بل سبقهم إليه الكثير ممن يرغب في إرواء غرائزه دون النظر الى اية قوانين او قواعد اخلاقية او مصالح اجتماعية فدعوا الى شيوعية النساء للسير وراء الاهواء ، وظهرت فئات من هذا النوع في عدد من المجتمعات . ولا اجد نفسي مضطراً لبحث هذه الفئات كلها ، وإنما يهمننا فقط القرامطة الذين برزوا في مجتمعنا ، والذين يركز اصحاب الاهواء الآن على آرائهم ويدعون لها بصورة مختلفة تبدأ بالثناء عليهم لتغيير نظرة المجتمع إليهم ثم بالدعوة الى الاختلاط بايجاد مبررات من مجتمعات تختلف عنا الاختلاف كله ... وذلك ليحصلوا على ما تطلبه شهواتهم و ...

ونرجو الله ان نوفق في اعطاء صورة مختصرة عن هذه الجماعة وان يجعل اعمالنا كلها خالصة له ، وهو نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

نسب القرامطة

ينتسب القرامطة إلى حمدان بن الأشعث الأهوازي الملقب (قَرْمَط) ، ويعود في أصله إلى (خوزستان)^(١) ، وقد عُرف في سواد الكوفة حوالي عام ٢٥٨ هـ ، وكان يظهر الزهد والتقشف في أول عهده ، فاستمال إليه بعض الناس ، وقد لُقِّب بـ (قَرْمَط) لقصر كان فيه ، إذ كان قصير القامة ، ورجلاه قصيرتان بشكل يلفت الانتباه ، فكان خطوه قصيراً ، الأمر الذي جعله ناقماً على المجتمع ، يبدي التأفف والتضجر ، ويحقد على الناس جميعاً ، ويظهر التذمر من كل المجتمعات التي تحيط به أو التي ينتقل إليها ، ويضمر البغض على كل وضع و وقد التفتى مرة بأحد دعاة التشيع وهو (حسين الأهوازي) الذي كان يتجول في سبيل دعوته ، فاجتمع به ، وهو في طريقه من (السلمية)^(٢) في بلاد الشام إلى

(١) خوزستان : بلاد الخوز ، وهي الأهواز ، وكان اسمها (الأخواز) فعربت إلى (الأهواز) ، وتسمى بالفارسية (هرمشير) ، وتشبه أرضها سواد العراق بل تعد جزءاً منها ، وهي بين فارس والبصرة .

(٢) السلمية : من أعمال (حماه) وإلى الجنوب الشرقي منها ، بينهما خمسة وثلاثين كيلاً ، وكانت تعد من أعمال (حمص) ، وهي مركز الاسماعيلية في بلاد الشام .

سواد الكوفة ، وذلك حوالي عام ٢٦٥ هـ ، ولم يلبث أن أصبح (قرمط) من أتباع (حسين) ، إذ كان حسين بدعوته ينتقد العباسيين ، ويتذمر من وضعهم ، فلقي هذا مكاناً في قلب (حمدان) ، وعندما مات (حسين) أصبح (حمدان) القائم بالأمر مكانه ، بناءً على عهد منه ، حيث ترقى (قرمط) في درجات الدعوة الاسماعيلية بسرعة فائقة نتيجة جده ونشاطه ، أو لأمور ربما لاتزال غامضة حتى الآن ، إذ ربما كان من الأصل داعية ، ولكنه غير معروف ، أو قام بهذا الدور من التمثيل ليكسب بعض الناس حوله باديء ذي بدء فأظهر التقوى ليخدع من حوله بذلك ، ويكسب ثقتهم .

يبدو على (حسين) و (حمدان) الأصل المجوسي^(١) ، وقد لعب هذا الأصل دوراً كبيراً في هذه الدعوة ، وفي غيرها من أمثالها التي عملت على تهديم المجتمع الاسلامي وتقويض أركانه حسداً وحقدًا وعقيدة ، كما أن الذين استجابوا لهذه الدعوة وعملوا على إظهارها وإعلاء شأنها منذ البداية كانوا مجوساً في أصولهم ، ومنهم (زكرويه بن مهرويه) ، و (عبدان الاهوازي) ابن عم حمدان وخته ، و (الحسن بن بهرام) الذي عرف باسم (أبو سعيد الجنائي) ، وقد كان لكل من هؤلاء دور القيادة في هذه الدعوة

(١) المجوسية : ديانة فارس القديمة ، ونقوم على عبادة النور والنار ، وتمعقد أن النور والظلمة أصلان متضادان ، ومن تركيبهما كان العالم ، والنور أزلي بينما الظلام محدث . وقد بنى المجوسيون للنيران من أجل عبادتها .

الفاسدة، بل إنهم كانوا زعماء الحركة سواء تلك التي قامت في العراق أم تلك التي ظهرت في البحرين وأقامت لها دولة دامت أكثر من قرن من الزمن .

فالقرامطة إذن نسبة الى (قرمط) لقب (حمدان بن الاشعث) والنسّابون يضبطونه بكسر القاف والميم ، أما اللغويون فإنهم يفتحون القاف والميم .

والقرامطة جماعة من الاسماعيلية افرقوا عنهم من أجل الزعامة أولاً ثم كانت بعض الخلافات الفكرية إذ تعتقد الاسماعيلية بامامة أبناء محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق من بعده وتتابعهم ، على حين يعتقد القرامطة أن محمد بن اسماعيل حي لم يمت ، وله داعية يمثله ويعمل برأيه وحسب تعليماته ، وهذا يفيد المجوس أو الذين لا يريدون أن يظهرُوا أنفسهم إذ يمكن أن يقوم أي مدّعي ويقول : إنه يمثل الامام محمد بن اسماعيل ، وهو حجته الى الناس .

وبينما يعدّ الشيعة أئمتهم معصومين فإن الاسماعيلية تسوي بين الانبياء والائمة كما خلعت على أئمتها صفات إلهية ، أما القرامطة فتعتقد أن روح الله تحلّ بإمامهم ، ولهذا سجدوا لـ (زكرويه بن مهرويه) عندما ظهر لهم بعد اختفائه الطويل ، أما الفاطميون فقد أسروا ذلك على الرغم من اعتقادهم به ، وهذا الإخفاء كان نتيجة خوفهم من رعاياهم من أهل السنة .

هَدَفُ الْقَرَامِطَةِ

تقوم حركة القرامطة على غاية أساسية ، وهي القضاء على الاسلام بعد تسلم الحكم والانتفاء من دولته ، وهي بهذا لا تختلف عن بقية الثورات التي قامت في ذلك العصر مثل حركة الزنج والخرمية وما إلى ذلك من حركات ، وكانت تمد هذه الحركات جميعها المجوسية المقنعة بالافراد الذين يظهرون اعتناق الاسلام ، وتمولها اليهودية بالاموال وتعضدها كل الفرق والديانات المعادية للاسلام سواء الموجودة منها داخل المجتمع الاسلامي على الرغم من أنها كانت تلقى الأمان والطمأنينة وتعيش برغد وهناء ، أم تلك التي كانت خارج المجتمع الاسلامي وتحارب المسلمين .

وكان أعداء الإسلام قد عجزوا عن معارضته في البداية بعد انتصاراته الواسعة عليهم ، إذ انزوى اليهود في جزر من الأرض صغيرة ، وانفرد أفراد من المجوس في الاراضي الشاسعة ، وبدأ الكيد ، وتدير المخططات ، والأساليب الماكرة ، وكان أول هذه المؤامرات قتل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد المجوس إذ قتله أبو لؤلؤة الذي اتهم الهرمزان ، وتشير أصابع الاتهام الى بعض اليهود الذين أظهروا الاسلام ، ثم كان قتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بتدبير اليهود الذين أشعلوا فتنة وسط

المجتمع الاسلامي على يد عبد الله بن سبأ اليهودي الذي أظهر الاسلام وبدأ يتنقل في الامصار الاسلامية يشيع الفتنة ويحدث بأمور لم يعرفها المسلمون من قبل. ونشأ من جراء ذلك فرقة تؤله الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وليس هذا محبة سيدنا علي ودينه، وإنما مكيدة وحقد، ولإيجاد الشقاق بين المسلمين وخرق الدين من داخله، وتولدت عن هذه الفرقة حركات تدعي الانتساب إليه أو الى أحفاده يحملها المجوس ويغذيها اليهود فكانت السبئية نسبة إلى عبد الله بن سبأ اليهودي^(١)، وكانت الكيسانية^(٢) والحركات الباطنية الاخرى التي لا تستطيع إظهار ما تعتقد لما فيه

(١) يعود عبد الله بن سبأ في أصله الى يهود اليمن، أظهر الاسلام، ورحل الى الحجاز فالبصرة فالكوفة. ودخل دمشق أيام سيدنا عثمان بن عفان، فأخرجه أهلها، فانصرف الى مصر، وجهر بدعوته التي تقول بالوهمية علي بن أبي طالب، ورجعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، نفاه سيدنا علي بن أبي طالب الى فارس، وقيل بل قتله عام ٤٠ هـ.

(٢) الكيسانية: وتنسب الى المختار بن أبي عبيد الثقفي الملقب بـ (كيسان)، وقد كان زبيرياً ثم شيعياً ثم دعا بإمامة محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بـ (محمد بن الحنفية) المتوفى عام ٨١ هـ، ولكن الكيسانية تزعم أنه لم يمت، وهو حي في جبل رضوى عنده غسل ولبن، ولا تزال جماعة منهم بذلك الجبل قرب المدينة المنورة. وتوفي المختار الثقفي عام ٦٧ هـ عن عمر يناهز السابعة والستين.

من سخفٍ وضعف ، وسيدنا علي وأحفاده وكل آل البيت منها
برءاء •

ولما كان أكثر المجوس من فارس كانت فارس مركز هذه
الديانة ، وقامت حركات يتزعمها فرس ، وفي رؤوسهم أفكار
المجوس وآراءهم وعقيدتهم ، يظهرون الإسلام ويطنون المجوسية
ويحقدون على من قضى على دولتهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يعملوا
إلا في الخفاء ، وكانت الخرمية والقرامطة والحشاشون وغيرهم
وربما كان هذا هو الباعث لدعوتهم ، وكان ادعاء النسب هو المجال
الذي يخفي فيه هؤلاء الشياطين أنفسهم ليختفي تحته هدف الحركة ،
فادعى صاحب الزنج النسب العلوي ، وتسمى باسم (علي بن
محمد) ، وانتسب (الحسين بن زكرويه بن مهرويه) النسب نفسه ،
وأخذ اسم أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ،
وكان أخوه (يحيى) قد ادعى أنه هو محمد بن عبد الله بن محمد
ابن اسماعيل بن جعفر الصادق • حتى ان الذين يريدون أن يرفعوا
من شأن القرامطة يجعلون لقادتها نسباً عربياً ، وما هو كذلك إن
يريدون إلا كذباً •

يقول عبد الرحمن بن الجوزي : « وقالوا : (أي القرامطة)
قد ثبت عندنا أن جميع الأنبياء كذبوا ومخرقوا على أممهم وأعظم
كل بلية علينا محمد ، فانه نبغ من العرب الطعام ، فخدعهم بناموسه
فبذلوا أموالهم وأنفسهم ونصروه ، وأخذوا ممالكنا ، وقد طالت
مدتهم •

والآن قد تشاغل أتباعه : فمنهم مقبل على كسب الاموال ،
ومنهم على تشييد البنيان ، ومنهم على الملاهي وعلمائهم يتلاعبون
ويكفّر بعضهم بعضاً ، وقد ضعفت بصائرهم ، فنحن نطمع في
إبطال دينهم ، إلا أنا لا يمكننا محاربتهم لكثرتهم ، فليس الطريق
إلا إنشاء دعوة في الدين والاتّماء إلى فرقة منهم ، وليس فيهم
فرقة أضعف عقولا من الرافضة ، فندخل عليهم نذكر ظلم سلفهم
الأشراف من آل نبيهم ، ودفعهم عن حقهم ، وقتلهم ، وما جرى
عليهم من الذل لنستعين بها على إبطال دينهم ، فتناصروا ، وتكاتفوا ،
وتوافقوا ، وانتسبوا الى اسماعيل بن جعفر بن محمد الصادق^(١) .

(١) القرامطة : عبد الرحمن بن الجوزي تحقيق محمد الصباغ
ص ٣٢ - ٣٣ طبع المكتب الاسلامي .

وسيلة القرامطة

اتخذ القرامطة كل وسيلة يمكن أن تجمع الناس حولهم ، وسواء أكانت الوسيلة شريفة أم غير ذلك فالأمر واحد بل ربما كانت الوسائل الخبيثة هي التي أفادوا منها أكثر من غيرها إذ أن الوسط الذي نمت فيه حركتهم تلائم تلك الوسائل ، فالغاية عندهم تبرير الوسيلة كما أن النفوس قد جبلت على حب المصالح والرغبة في المحظورات فقد حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ، وأهم تلك الوسائل :

١- الزهد : أظهر القرامطة في بداية أمرهم الزهد حتى يقبل الناس عليهم ، فالدين أكثر ما يحرك النفوس ، والمجتمع الذي وجدوا فيه لا يخضع إلا لمن عرف بتقواه ، ولكن إذا مادان لهم أتباعهم ووثقوا بهم ، أخضعوهم لمرحلة بعد مرحلة حتى إذا وصلوا إلى المرحلة الأخيرة رفعوا عنهم التكاليف الشرعية ، وأعلنوا لهم أن هذه التكاليف إنما وضعت وفرضت على المغفلين . وقد عدّ الباخثون تسع مراحل يخضع لها أتباع القرامطة حتى يصلوا إلى كل ما يريده منهم زعماء هذه الحركة .

٢- النساء : يعد السواد وهو المنطقة الجنوبية من العراق والمحصورة بين نهري دجلة والفرات وعلى أطرافها من أخصب

البقاع الزراعية وأكثرها ماءً ، وتقوم فيها الزراعة بالدرجة الأولى
إذ الحرارة متوفرة أكثر أيام السنة ، والمياه الجارية تتدفق باستمرار ،
ويأخذ الفلاح منها حاجته عندما يريد ، والتربة رسوية خصبة
يجدد موادها ما يحمله النهران من مجروفات ، لهذا كله كانت
الزراعة عماد المنطقة ، ونشأ في هذه البقعة عدد من المدن الكبرى
وأهمها :

واسط : التي ابتناها الحجاج بن يوسف الثقفي عام ٨٤ هـ
وسط السواد لتكون قاعدة حكمه ، وحاضرة المنطقة ، ومركزاً
لانطلاق الجند .

الكوفة : التي مصّرت أيام الفتوحات الأولى في عهد سيدنا
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك بعد انتصار سيدنا سعد بن
أبي وقاص رضي الله عنه على الفرس في معركة القادسية ، وكانت
بغاصمة الجند ، وقد زاد عدد سكانها على خمسين ومائة ألف منذ
أيام زياد بن أبيه والي الكوفة لسيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي
الله عنهما .

البصرة : وقد مصّرت أيضاً أيام سيدنا عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وقبل الكوفة بعدة أشهر ، وقد زاد عدد سكانها على
المائتي ألف في العهد الأموي .

بغداد : وقد خطها أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي الثاني
عام ١٤٥ هـ ونزلها عام ١٤٩ هـ ، وأضحت قاعدة حكم بني العباس

حتى نقل المعتصم مقر حكمه الى (سامراء) التي اختطها بعد أن
كثر الجند الاتراك في بغداد وذلك حوالي عام ٢٢١ هـ .

وهناك الحيرة وعين التمر وعدد من المدن الأخرى .

ويجتمع عادة في المدن التجار والأغنياء وقادة الجند والأمراء ،
فيشترون الأرض ، ويرغبون في زراعتها للإفادة من نتائجها ،
واستثمار خيراتها ، أو قضاء بعض الايام فيها ، يروحون فيها عن
أنفسهم ، ويسرون مما فيها من ملذات ونعيم . ولما كان هؤلاء
لا يستطيعون الاستقرار في مكان لطبيعة عملهم ، ولا يزاولون هم
الزراعة بأنفسهم ، لذا اقتضت المصلحة أن يستأجروا من يعمل
لهم فيها إن لم يكن لهم أرقاء يشتغلون أو عبيد يعملون ، فكانوا
يجلبون العمال من المناطق الفقيرة وربما كانت هي أطراف البوادي
أو منطقة شرقي إفريقية التي أطلق على سكانها آنذاك اسم (الزنج) ،
أو من المواطن التي تعتمد على المطر في الري فان أتمها سنوات عجاف
اضطر أهلها الى مغادرة أراضيهم يلتمسون العمل الذي اعتادوا
عليه وهو الزراعة ، وكانت تستهوي هؤلاء العمال المواضع التي
تندفق فيها المياه ، فتجلبهم نحوها ، أو يستقدمهم أولئك الأغنياء
الذين ذكرنا . وكان سواد العراق من هذه الاماكن التي تتوجه
إليها هذه الفئات ، فاجتمع في هذه المنطقة جماعات كثيرة معظمها
من الشباب الذين هم في سن العمل أو ممن لهم تطلعات نحو النساء ،
وقد ابتعدوا عن أزواجهم إن كانوا من الذين سبق لهم أن تزوجوا ،
وابتعدوا عن رقابة مجتمعاتهم ، ووجدوا في أنفسهم عاطفة الى

الأهل والوطن فانقلبت هذه العاطفة الى رغبة في الجنس لتحل محلها ، أو تفكير في ايجاد الأهل وبناء الأسرة ، ولما لم تكن لديهم الامكانيات الكافية للزواج وبناء الأسرة فقد انقلب هذا الفقر أو الضعف الى حقد على الاغنياء وأصحاب الأرض وأهل الفتيات وحدثت رغبة جامحة في الحصول على الفتيات والنساء بأي شكل وأية طريقة . وكان الجهل يطغى على أكثر أولئك الزراع الأمر الذي يجعل الوازع عندهم ضعيفاً فيمكن ايقاعهم في الحبال ، وجعل النساء لهم شركاً عظيماً يندفعون وراءه ليحققوا رغباتهم ، ويؤمنوا شهواتهم ، ويحصلوا على العاطفة الآتية ، لذا كانت النساء المصيدة الأولى لهم والسلاح الماضي الذي استعمله القرامطة بل والزنج من قبلهم في المنطقة نفسها إذ دخلوا البصرة وارتكبوا فيها أبشع أنواع الجرائم وهتك الاعراض .

لهذا أمر (قرمط) الدعاة له بأن يجمعوا النساء في ليلة عيّنهما ، ويخلطوهن بالرجال حتى يتراكن ، وقال : هذا من صحة الود والألفة . كما أن أبا سعيد الجنّابي قد أدخل زوجه على ضيفه وطلب منها ألا تمنعه من نفسها . كما أباح القرامطة للمقاتلين أن يرووا غرائزهم من نساء أهل المدن والقرى والقوافل التي يستيحيونها دون أي احتراز أو إهمال لمدة كما يدّعي المسلمون .

٣- المال : وهو وسيلة أخرى اتخذها القرامطة للتأثير على الناس ، ولا شك أن أكثر العاملين في منطقة السواد من الفقراء ، وما انتقلهم الى تلك الجهات إلا لوضعهم المادي الضعيف ، وكذلك

القبائل التي تقيم على أطراف البادية أو في فياها المختلفة فإن أفرادها هم بحاجة إلى المال لتأمين بعض الحاجيات التي تستجد في مجتمعاتهم أو يرونها ضرورية لهم ، الأمر الذي يجعلهم ينظرون الى المال على أنه غاية بحد ذاته إذ ما امتاز عنهم السادة إلا بالمال وما منعهم من الحصول على الزواج من بنات الأثرياء إلا الفقر ، وكذلك فالوازع الايماني عندهم ضعيف لجهلهم • فالجهل والفقر مع غياب الايمان يعدان من أكبر العوامل التي تجعل الانسان يسير وراء كل فاعق أو مع كل متاجر بالالفاظ من أجل الاصلاح أو الخير — حسب زعمهم — لتجد النفس لها المسوغ ، وهذا مايتوفر في هذه المنطقة من الارض بشكل واضح تماماً •

أقام (قرمط) في كل قرية رجلاً مختاراً من الثقة عنده ، وأمر كل واحد منهم أن يجمع عنده أموال قريته ، ويجعلها اشتراكية بين أبناء القرية جميعها ، وذلك ليحصل الدعاة الذين لا يعملون والكسالى والمزادون على لقمة العيش بل ويحصلوا على زيادة يتصرفون بها ويبدون بصفتهم القيادية وحملهم المسؤولية • وليس هذا أبداً في سبيل حصول الفقراء على المال أو مساواتهم بالاغنياء فان هذا لا يكون ولا تستقيم معه الحياة فلا بد من وجود عمال يأخذون وأغنياء يدفعون ، إذ لا يمكن أن يعمل المسؤول عملاً منقصاً من شأنه ، وعلى الدوام يسخر المسؤول غيره ، ويعيش على حسابه ، ويدعي أنه لمصلحته يعمل ، ومن أجله قام وتسلم المسؤولية •

وفي اشتراكية المال والنساء تحقيق لمبادئ (مزدك) الذي يرتبطون معه بصلة العقيدة المجوسية ديانة الفرس القديمة التي هم أتباع لها ، ويتعصبون لها ولأهلها ، ويتطرفون في تعظيم رجالات الفرس ، ويغالون في رفعهم • ويرى (مزدك) أن النساء والمال سبب المخالفة والمباغضة لذلك أباحهما •

٤- الفتوة : إن الشباب تغريهم مظاهر القوة لذا فهم ينخرطون في كل حركة تستهويهم بهذا المظهر ، وبخاصة إذا أمّن لهم الجنس • ولما كان أكثر سكان السواد من الشباب لذلك أمر (قرمط) جماعته بشراء السلاح حتى يندفع غيرهم نحوهم ، ويؤمن الزيادة في عدد أتباعه ، هذا فضلا عن إخافة الآخرين الذين يضطرون للالتحاق بهم حماية لأنفسهم وتأميناً لمصالحهم • كما أمر القرمطي بتقديم العلف لهؤلاء الشباب من النساء •

٥- الحقد : ويجب ألا ننسى الناحية النفسية عند العوام ، فالفقير يغريه المال فيجعله يحقد على صاحبه ، والاجر يحسد صاحب العمل على ما آتاه الله ، والشباب المليء بالشهوة الذي يرى الفتيات من بنات الاثرياء أمامه وهو مرهق بالعمل ولا يستطيع أن يحصل على الزواج فيشتبهن ، والبدوي الذي يعيش في الشمس المحرقة ، ويتنقل في البيداء المقفرة ، يتلظى من العطش ، ويفتقر الى الظل ، يتصور الظلال الوارفة فيتشوق اليها ، والمياه المتدفقة فيتمناها ، والثمار الياقة فتتوق نفسه إليها ، والأشجار ذات القطوف الدانية فيرغب فيها ، ويرى هذا كله في جنوبي العراق في المناطق التي تجاور

باديته ويضطر أحياناً للسفر إليها لأعماله الضرورية في الحاضرة أو قاعدة الملك أو مركز الجند . يرى ذلك كله ويتسنى أن يتخلص من وضعه الذي هو فيه ويحصل ولو على بقعة صغيرة ذات ظل ظليل وماءٍ نير وفواكه كثيرة بل يحارب من أجل هذا ويقاتل ولقد أثار القرامطة الحقد في نفوس الفقراء فمنّوهم بامتلاك تلك الأراضي ، وأغروهم باستباحة أموال الناس ، وأملوهم بأخذ ما يرغبون من النساء .

لذا كانت هذه النماذج كلها الشباب ذوو الطاقات ، والفقراء أصحاب الامكانيات ، والأعراب المتقلبون ، مع الجهل الذي يجمعهم جميعاً ، كانوا هم عماد الحركة القرمطية بل أساس كل ثورةٍ تمثيهم وتلوح لهم بالحاجات التي يسعون إليها فهي الملف الذي يقدم لهم ويركضون وراءه ويسيروا حسب حركته كالسوائم من القطيع تتحرك وراء قبضة العشب ، وما على المستغلين إلا أن يوجهوهم .

ويجب هنا أن لانسى حقد صاحب الدعوة الأول وهو حمدان بن الأشعث « قَرْمَط » الذي ينقم على مجتمعه لخلقته ، ويحقد على الناس لما هو عليه من القصر والدمامة ، ويظن أن الناس جميعاً ينظرون إليه نظرة ازدراء فيملأ الغيظ نفسه ، ويتمنى تحطيم كل ما يعتقدون ، وتهديم كل ما يفكرون فيه ، ويحلم أن يكون السيد المطلق فيهم يوجههم حيث يشاء ، ويحركهم حسب الوجهة التي يريد ، ويرسم لهم طريق الغواية ليضلهم ويبعدهم عما هم

عليه ، يتبعونه كالتطيع ، ويتحركون حسب اشارته • هذا إضافة إلى حقه على المسلمين جميعاً الذين قضاوا على دولة الفرس وديانتهم المجوسية ، والمسلمون يشكلون سكان المحيط الذي يعيش فيه ••••• فهم أعداؤه ويجب القضاء عليهم بإبعادهم عن كل شيء يجمعهم والاسلام كان عماد قوتهم وأساس وجودهم فيجب تهديمه ليستطيع العمل ويمكنه التفرقة •••••

٦- الإرهاب : اتخذ القرامطة طريقة إخافة الناس بما فعلوه من جرائم وما ارتكبوه من أعمال ، لذا فقد سار وراءهم كثيرون وهم ليسوا منهم ، وأظهروا لهم أنهم رأوا رأيهم ، وما هم كذلك ، وبهذا كثر عددهم ، وأفادوا من جموعهم ، حتى إذا فشلوا في حركتهم كانت كثرتهم وبالاً عليهم إذ اتفص المتفعون من حولهم وهم غاليتهم وتركوهم وحدهم في الميدان حتى ينالوا جزاءهم وما اقترفت أيديهم ، بل وأحياناً كثيرة كانوا هم الذين يسلونهم لخصومهم ليحموا أنفسهم أو ينقلبوا عليهم في الساعات الحرجة ليحصلوا على الأمان إذ شاركوهم في جرائمهم •

٧- دقة التنظيم : إن التنظيم الدقيق الذي قامت عليه الدعوة الاسماعيلية في النصف الثاني من القرن الثالث هو الذي جعلها تحرز بعض النجاح في بعض المناطق هذا بالإضافة إلى الخوف الذي أصاب الناس من كثرة جرائمها ووحشية أتباعها ، وما القرامطة إلا فرع من الاسماعيلية •

قسمت الاسماعيلية مناطق دعوتها إلى اثني عشر قسماً ،

وأطلقوا على كل قسم اسم (جزيرة) ، وعيّنوا على كل جزيرة مسؤولاً عرف باسم « حجة الجزيرة » أو « صاحب الجزيرة » ، ويرتبط مباشرة بكبير الدعاة الذي يقيم في مركز الدعوة ليأخذ العلم عنه . كما يطلق على هذا اسم « داعي الدعاة » ، وما هذه التسمية « الجزر » إلا للتعمية .

ويساعد داعي الدعاة ثلاثون شخصاً يعرفون باسم (النقباء) ، ويشرف النقيب على أربعة وعشرين داعياً ، نصفهم معروف تقريباً والآخر مجهول . كما يساعد داعي الدعاة شخصان يعرفان بالجناحين يرافقانه حيث سار ، ويسبقانه إلى المكان الذي يريد الانتقال إليه ليهيئا له العمل حين وصوله ، ويقوما بالدعاية له .

ويحرص الاسماعيليون على وجود رجل بينهم حصل على مقدار لا بأس به من العلم ، يناقش العلماء ، وي طرح عليهم أسئلة دينية لا جواب عليها ، وبخاصة أمام السذج ليظهر أمامهم أنه عالم كبير فيقولون : هذا الرجل قد اعتقد بهذه الفكرة وقد أوتي حظاً كبيراً من العلم والاطلاع فلولم تكن كذلك لما آمن فيؤمنون ... وإذا ما التقى بمن يريد دعوتهم منفردين بدأ يشككهم في عقيدتهم حتى يحل محلها عقيدة الاسماعيلية .

ويتظاهر داعي الدعاة أمام أهل السنة أنه منهم ، وأمام الشيعة أنه أحدهم ، ويتقرب من كل صاحب مذهب بالتظاهر أنه من أتباع مذهبه . وهذه التقية التي يؤمن بها الشيعة جميعهم قد ساعدت على نجاح حركة القرامطة حيث يتخذون من التقية سلاحاً لهم .

العوامل التي ساعدت على نجاح القرامطة

لقد نجح القرامطة في حركتهم التي قاموا فيها ضد الدولة العباسية بعض الزمن ، واستطاعوا السيطرة على مناطق واسعة امتدت إلى كل بادية الشام والعراق ، كما شملت الجزيرة العربية كلها عدا منطقة عسير ، كما خضعت مناطق أخرى لبعض فئاتهم وإن حملوا أسماء ثانية ، ولقد كان لهذا النجاح عوامل عدة :

١ - ضعف الدولة العباسية : قامت حركات في أنحاء متعددة من مناطق الدولة قبل ثورة القرامطة استدعت قوة نفوذ الجند ثم سيطرتهم الكاملة على الدولة . وبالتالي على الخليفة ، هذا إلى جانب الحروب الطويلة التي خاضها العباسيون ضد الروم ، والدويلات التي انفصلت عن جسم الدولة ، فكان الجند بعد امتداد نفوذهم وسيطرتهم يتصرفون تصرفات تسيء إلى سمعة الحكم وهيبته ، ولا يستطيع الخليفة أن يقوم بعمل ضدهم ، ولو فكر بذلك كان مصيره القتل أو الخلع ، الأمر الذي جعل الخليفة العويبة بايديهم ، ويصف أحد الشعراء الخليفة بين قواده بقوله :

خليفة في قصص
يقول ما قال له
بين وصيف وبغا (١)
كما تقول البيغا

(١) وصيف وبغا قائدان من قادة الترك .

هذا بالإضافة إلى أن هؤلاء القادة كثيراً ما كان ينازع بعضهم بعضاً ، والقادة من الجند لا يجيدون التخطيط ، ولا يحسنون إدارة الشؤون ، وعلى هذا تبقى الدولة ضعيفة وأمورها متخبطة ، ومما زاد في ضعف الدولة كثرة الحركات التي سبقت ثورة القرامطة والتي كانت تضرب على الوتر نفسه ، وكان أهمها ثورة الزنج التي أزجعت الدولة عدة سنوات وثورات الطالبين المتكررة .

٢ - **الحقد على العباسيين** : إن تشكيل العباسيين بالطالبين قد جعل الحقد عليهم شديداً من قبل الشيعة على اختلاف فرقها ، وينتظرون الفرصة المواتية للانتقام منهم ، وبخاصة أن منطقة السواد يكثر فيها الطالبيون وأنصارهم ، وبشكل خاص يزيدون في سواد الكوفة قاعدة الشيعة الأولى وبسبب قربها من فارس مركز المجوسية التي أظهر الكثير من أتباعها الاسلام ، وبقوا في الحقيقة على عقيدتهم الأولى ، يتعصبون لها ، ويتخذون من العصية الفارسية أيضاً دعماً لهم ، فكانت بلاد فارس تمد الدعوات المعادية للعباسيين بأعداد كبيرة كلما احتاجت الى الرجال حقداً على الاسلام وأهله ، واتجهت أعداد من أتباع المجوسية نحو الكوفة مظهرة الاسلام ومتخذة من التشيع درءاً لها . ونلاحظ حتى الآن أن كثيراً من الحركات المنحرفة سواء اتخذت مظهر التصوف أم مظهر دعوة جديدة إنما يرتبط بعض أتباعها وقادتها بأصول فارسية ويدعون الارتباط الشيعي أو الانتساب إلى آل البيت .

كانت الفرصة الأولى للشيعة كي يقوموا بثورتهم هي نهاية

القرن الثاني الهجري إذ حدث خلاف بين الأمين والمأمون ولسدي
 هارون الرشيد وولي عهده ، فقامت ثورة في الكوفة عام ١٩٩ هـ
 بزعامه محمد بن ابراهيم الملقب بـ (ابن طباطبا)^(١) ، وقد استطاع
 أحد قادته وهو (أبو السرايا)^(٢) الاستيلاء على الكوفة وواسط
 والأهواز ، وضرب النقود باسم الإمام ، وبعد موت ابن طباطبا^(٣)
 اختار الطالبيون فتى دعي باسم (محمد بن محمد) ، وأوجطوا له
 نسباً طالبياً هو : محمد بن محمد بن زيد بن علي زين العابدين
 ابن الحسين بن علي أبي طالب ، إلا أن هذه الانساب لا يوثق بها
 أبداً إذ كثرت الادعاءات وكلها تنتمي إلى علي بن أبي طالب رضي
 الله عنه ، ولكن أبا السرايا هو الذي كان يقوم بالأمر كله باسم
 (محمد بن محمد) ، ثم هزم أبو السرايا وقتل عام ٢٠٠ هـ ، ودخل
 العباسيون الكوفة ، وأرسل (محمد بن محمد) إلى الخليفة المأمون
 وهو بخراسان .

خفت حدة الحركة الطالبية بعد أن عين المأمون (علي الرضا)

(١) ابن طباطبا : هو محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم
 ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وكان يذكر أنه من ولد
 هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود .

(٢) أبو السرايا : هو السري بن منصور ، كان من رجال هرثمة
 ابن أمية فاختلف معه ، وذهب أبو السرايا إلى الكوفة ، وباع ابن
 طباطبا .

(٣) يقال ان أبا السرايا هو الذي دس السم لابن طباطبا ، طمعا
 في أن يكون الامر له ، أو بيده .

وليا لعهد وذلك عام ٢٠١ هـ ، وهو الإمام الثامن عند الفرقة
الإثني عشرية من الشيعة ، ولكن لم يلبث علي الرضا أن توفي عام
٢٠٣ هـ أيام المأمون .

عاد الشيعة إلى ثورتهم فتحركوا عام ٢١٩ هـ أيام المعتصم ،
كانت حركتهم بزعامة (محمد بن القاسم)^(١) إلا أن هذه الثورة
قد فشلت أيضاً .

ضعف أمر الخلفاء العباسيين بعد المتوكل^(٢) فاتهمز الشيعة
هذا الامر ، وقاموا بعدة حركات ، كان أولها ثورة (يحيى بن عمر)^(٣)
بالكوفة عام ٢٥٠ هـ ، ولكنها فشلت . وكانت الحركة الثانية بقيادة
(الحسين بن حمزة)^(٤) بالكوفة نفسها عام ٢٥١ هـ ، إلا أن
مصيها كان مصير ما سبقها من ثورات الطالبين ، وإثر كل ثورة
تقتل أعداد كبيرة من الطالبين وينكل بهم ، كما نقلت جموع منهم

(١) محمد بن القاسم : ادعى أنه محمد بن القاسم بن عمر بن
علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

(٢) المتوكل : الخليفة العباسي العاشر ، جعفر (المتوكل على
الله) بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون الرشيد ، بوع بالخلافة
بعد وفاة أخيه الواثق عام ٢٣٢ هـ ، كان جواداً ، وقد أنهى امر
الجدل في موضوع خلق القرآن ، اغتيل عام ٢٤٧ هـ .

(٣) يحيى بن عمر : ادعى أنه يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين
ابن يزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

(٤) الحسين بن حمزة : ادعى أنه الحسين بن محمد بن حمزة
ابن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

من بغداد إلى سامراء عام ٢٥٢ هـ .

انتقل مركز الشيعة إلى البصرة ، والتف أتباع هذه الفرقة حول صاحب الزنج الذي زعم أنه من نسل علي بن أبي طالب ، وأنه علي بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، واجتمع مع الشيعة الزنج الذين يعملون في السباخ جنوبي العراق ، وقد دخل الزنج (الابلثة) عام ٢٥٦ هـ و (عبادان) و (الأهواز) ، ثم استطاعوا عام ٢٥٧ هـ أن يدخلوا البصرة ، و (واسط) عام ٢٦٤ هـ ، واستمرت هذه الحركة حتى قتل هذا الذي صاحب الزنج عام ٢٧٠ هـ ، وفي هذا الوقت بدأت الدعوة الاسماعيلية نشاطها والقرامطة جزء منها فوجدت الظروف مهيأة من حيث الحقد على العباسيين في ذلك المحيط فنشط أمرها .

٣ - الجهل : لقد كان الجهل يسود أتباع القرامطة ، وقد حرصوا هم عليه ، ورغبوا في بقاءه حتى يتسنى لهم إظهار ما ليس فيهم وتصديق جماعتهم لهم ، فقد ادعى (يحيى بن زكرويه) أن ناقته مأمورة ، وصدق أتباعه ذلك ، وأعلن لهم أن يده إذا وجَّهها إلى أية جهة هُزِم أعداؤه من تلك الجهة ، وآمن جماعته بذلك ، وأظهر لهم عضداً ناقصة ، وقال لهم : إنها معجزة

كما قال لأتباعه قبل مقتله في المعركة التي خاضها وقد أيقن بالهلاك : إنه غداً سيصعد إلى السماء ويقيم بها أربعين يوماً ، وعليهم أن يتبعوا أخاه الحسين ، كل هذا وأتباعه مصدقون به مؤمنون

بأقواله وخرافاته لجهلهم وكذلك صدق القرامطة خروج (حسين الأهوازي) بمعجزة من سجن ابن الهيصم ، وكانت قد أخرجته جارية ابن الهيصم ، شفقة عليه ، وأعادت مفتاح السجن إلى مكانه تحت وسادة سيدها دون علمه ، ولم تخبر أحداً خوفاً على نفسها ، فادعى الأهوازي أنه خرج بمعجزة •

٤ - الجرائم : إن الطريقة التي اتبعها القرامطة في سفك الدماء وقتل الأبرياء والاعتداء على الحرمات قد أخاف الناس وجعلهم يخشون على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وأملأهم من تحديات القرامطة ، فأظهروا لهم تأييدهم وأنهم على مذهبهم حماية لهم ، ودفعوا جزءاً مما يترتب عليهم وساندوهم في حروبهم ، كما ساعدتهم آخرون في سبيل الحصول على المغانم •

٥ - غياب أئمة الشيعة : تعد الشيعة الاثني عشرية أكثر فئات الطالبيين وقد اختفى إمامهم الثاني عشر محمد المهدي في سرداب في سامراء ، وهم ينتظرون ظهوره ليملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، وكذلك كتم الاسماعيليون أئمتهم خوفاً من طغيان العباسيين ، وأصبحت الدعوة إلى الرضا من آل البيت هي الشائعة ... فكل طامح يدعو بهذه الدعوة ليحقق ما يريد فإذا وصل ادعى نسباً طالياً يختاره ، وعد نفسه الإمام أو الداعية له • وكانت هذه سياسة القرامطة •

٦ - الفساد : وقد أصبح الفساد يزداد يوماً بعد يوم ،

ويتسع انحراف زاوية الانحراف باستمرار الأمر الذي جعل المسلمين
يقتضون من هذا الفساد ، ويتمنون تغيير الوضع بما هو أفضل ،
ولا يجعلون من أنفسهم سندا للحكم ضد المارقين والمنحرفين لما في
الحكام من السوء وإن كان يقل عن أعمال الباطنية بكثير بل لا يقارن
معه إذ لا يقارن الايمان بالكفر •

وفي مثل هذا الوضع يصدق كل داع للإصلاح وكل منادٍ
بتطبيق شريعة الاسلام ، وهذا ما كان يرفع رأيته أصحاب كل حركة
مهما كانت ضالة لاتباعه الناس •

المظهر السياسي للقرامطة

لابد لكل حركة من أن تأخذ شكلاً سياسياً معيناً تنادي به وتدعو إليه ، وقد اتخذت حركة القرامطة مبدأ التشيع راية لها ، كما اتخذت ذلك كل الثورات التي سبقتها والتي تلتها لأنها رأت في ذلك دعماً كبيراً لها وجمهوراً واسعاً يسند لها ، كما رأت قاعدة عامة تصدق كل دعي مجرد أن ينتمي إلى آل البيت وتؤمن بالخرافات والدجل . وما التأييد الواسع إلا لـ :

١- أن المسلمين يتعاطفون مع الشيعة محبة لآل البيت حيث حمل الشيعة دعمهم ، وساروا وراء سادتهم . ولم يكن الشيعة بعامة ولا سادة آل البيت بخاصة أصحاب أفكار تخالف الاسلام أو أهل آراء تباينه وذلك في أول الأمر ، ولكن الذي حصل فيما بعد إنما ابتدأ في القرن الثالث الهجري . وكانوا من قبل كعامة المسلمين ، وكان وجهاء آل البيت أهل علم وفقه وفضل ، ومنهم الإمام جعفر الصادق^(١) بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن

(١) جعفر الصادق ، أبو عبد الله : سادس الائمة الاثني عشر عند الإمامية ، كان من أجلاء التابعين ، وله منزلة رفيعة في العلم ، توفي في المدينة المنورة عام ١٤٧ هـ .

علي بن أبي طالب الذي تتلمذ على يده كل من الإمام مالك^(٢) والإمام أبي حنيفة^(٣) - رحمهما الله - وتدعي أكثر الرافضة اليوم الانتماء إلى الإمام جعفر زوراً وكذباً ، وذلك لمعرفة فضله من قبل الناس كلهم والفرق جميعها .

مع العلم أن القزابة لا تفيد شيئاً « ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين »^(٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويا فاطمة بنت محمد خذي من مالي ما شئت فإني لا أغني عنك من الله شيئاً » .

٢ - توالي النكبات على آل البيت على يد خصومهم السياسيين ، فقد نكبوا بالحسين بن علي رضي الله عنهما عام إحدى وستين أيام يزيد بن معاوية^(٥) ، ونكبوا يزيد^(٦) بن علي زين

(٢) الإمام مالك بن أنس ، أبو عبد الله : إمام دار الهجرة ، واحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، ولد وتوفي بالمدينة (٩٣ - ١٧٩ هـ) .

(٣) الإمام أبو حنيفة ، النعمان بن ثابت : الفقيه المجتهد المحقق ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، ولد ونشأ بالكوفة ، وتوفي ببغداد عام ١٥٠ هـ .

(٤) سورة هود ٤٤ - ٤٦ .

(٥) يزيد بن معاوية : ثاني خلفاء بني أمية في الشام ، بويح بالخلافة بعد وفاة أبيه معاوية عام ٦٠ هـ وتوفي عام ٦٤ هـ .

(٦) زيد بن علي : أقام بالكوفة ، قرأ على واصل بن عطاء ،

العابدين بن الحسين أيام هشام^(٧) بن عبد الملك عام ١٢٢ هـ ، ثم دارت الدائرة من بعده على ابنه يحيى عام ١٢٥ هـ ، ثم فجسوا بر محمد بن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب^(٨) ذي النفس الزكية عام ١٤٥ هـ أيام أبي جعفر المنصور^(٩) ، وأصيبوا بأخيه ابراهيم^(١٠) ، الأمر الذي جعل الناس يعطفون على آل البيت إذ أن النفس البشرية تميل الى المنكوب ولو كان على خطأ ، إذ ينسى ما فعل ، وتبقى المصيبة تذكر ، وتتألم النفس البشرية .

انتقل الى الشام فحبسه هشام بن عبد الملك خمسة اشهر ، ثم عاد الى العراق ، ثم الى المدينة ، حرضه اهل الكوفة للخروج على بني امية ، ورجعوا به الى الكوفة عام ١٢٠ هـ فقام بثورته ، واليه تنسب الزيدية .

(٧) هشام بن عبد الملك : الخليفة الأموي العاشر ، بوسع بالخلافة بعد موت أخيه يزيد عام ١٠٥ هـ ، وتوفي بالرصافة عام ١٢٥ هـ .

(٨) محمد بن عبد الله : ولد ونشأ بالمدينة ، خرج من مخبئه بعد مقتل أبيه ، وملك الجزيرة العربية والبصرة والاهواز وفارس ، وكانت بينه وبين المنصور رسل .

(٩) أبو جعفر المنصور ، عبد الله بن محمد : ثاني خلفاء بني العباس ، باني مدينة بغداد ، بوسع بالخلافة بعد وفاة أخيه أبي العباس السفاح عام ١٣٦ هـ ، ودامت خلافته حتى توفي عام ٥٨ هـ ، ويعمد المؤسس الحقيقي للدولة العباسية .

(١٠) ابراهيم بن عبد الله : خرج بالبصرة ، واستولى عليها ، وناصره الإمام أبو حنيفة ، وأرسل له ٤ آلاف درهم لم يكن معه غيرها ، ثم فشلت ثورته وقتل عام ١٤٥ هـ .

٢٣ - كون إمام الشيعة الثاني عشر المزعوم (محمد المهدي)
 قد اختفى عام ٢٦٥ هـ حسبما أشاع (محمد بن نصير) (باب) (١١)
 الامام الحادي عشر (الحسن العسكري) (١٢) ، لما ادعى أنه سيخرج
 في آخر الزمان ليعيد العدل إلى الأرض بعد أن ملئت جوراً وظلماً ،
 وهكذا بقي الشيعة دون إمام ، وغدا كل امرئ يستطيع أن يدعي
 لنفسه الإمامة إذا رأى بمقدوره نجاح حركته وذلك بعد أن ينتسب
 إلى آل البيت (١٣) وبخاصة من نسل فاطمة بنت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم . كما أن الشعبة الثانية من الشيعة ، وهي التي تنتمي
 إلى (اسماعيل بن جعفر الصادق) (١٤) قد كتبت أئمتها بعد أن
 خافوا على أنفسهم من السلطة ، وكان أولهم (محمد المكتوم بن
 اسماعيل) (١٥) ، الأمر الذي جعل الكثيرين يستطيعون الادعاء أنهم

(١١) الباب : هو الرجل الذي يتخذه الإمام واسطة بينه وبين
 الناس ينقل إليهم علم الإمام ، وقد اتخذت الشيعة هذا الاسم بناء
 على حديث موضوع (أنا مدينة العلم وعلي بابها) فالعلم إنما انتقل
 عن طريق علي رضي الله عنه - حسب زعمهم - .

(١٢) (الحسن العسكري) الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد
 ابن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر ولد بالمدينة عام ٢٣٢ هـ ،
 وتوفي بسمراء عام ٢٦٠ هـ .

(١٣) آل البيت : هم آل علي بن أبي طالب وآل جعفر وآل عقيل
 وآل العباس ، وهم الذين لا تحل لهم الصدقة .

(١٤) اسماعيل بن جعفر : تنسب إليه الاسماعيلية التي قالت
 بإمامته ، توفي عام ١٣٨ هـ في حياة والده ، ويقول أتباعه : أن ذلك
 تقية من أجل أخفائه فقد عاش إماماً بعد والده .

(١٥) محمد المكتوم ، محمد بن اسماعيل : ولد بالمدينة عام

يعملون لآل البيت دون ذكر الإمام ، وبالإضافة الى ذلك قد جعل
امكانية ادعاء النسب الى اسماعيل بالذات ، أو الى هذا الإمام
المكتوم أمراً طبيعياً ، وفي هذه المدة دخلت الى الشيعة أفكار غريبة
من آراء الفلاسفة وعقائد المجوس والهندوك وغيرهم ، واتخذت
الباطنية مبدءاً لها .

٤ - أن أفكار الشيعة هي نفسها مجال لاتخاذها مظهراً
للثورات والحركات المضادة للإسلام والمعادية له . إذ يقول الشيعة
بعضة الأئمة ، فهم حسب هذا المبدأ لا يقعون في خطأ أبداً ، سواء
أكان صغيراً أم كبيراً ، لذا فمدعي الإمامة لا يخطئ مطلقاً فإذا وقع
في خطأ صريح واضح أوّل على غير ذلك وفُسر على غير ظاهره ،
ومن هنا نشأت الباطنية ، وكان للنصوص الشرعية باطن غير ما يدل
عليه الظاهر ، وتأويل ذلك لا يعلمه إلا الأئمة أنفسهم ، وأبوابهم ،
وربما دعائهم إذا حدثوهم بذلك . وهذا يجعل كل ماكر يمكنه أن
يخرج عن الاسلام ويقود من وراءه لمحاربتة ، وهو يدعيه ويقاتل
باسمه . وقد يكون هو جاهلاً بالاسلام أصلاً فإذا تصرف بما
يخالفه ، ادعى وردد أتباعه أن تصرفه هو الصحيح وأن المعروف
لدى الناس ليس هو إلا الظاهر والذي يعرفه المغفلون . . . كما
نشأت فكرة شريعة وحقيقة وظاهر وباطن وما الى ذلك مما يردده
المخالفون ويوافقهم العوام والجهلة الذين يقعون بالشرك من غير
معرفة .

١٣١ هـ ، وتوفي ببغداد عام ١٩٨ هـ ، وطلب من دعائه أن تكون
الدعوة باسم المستور من آل البيت .

اتخذ القرامطة فكرة التشيع ظاهرة عامة لهم ، وحملوا الاسماعيلية مبدأ لهم وبخاصة أن أتباعها كانوا قد نشطوا نشاطاً ملموساً ، وعندما استطاعوا السيطرة وقوي أمرهم استقلوا بمناطقهم التي خضعت لهم ، وتركوا ماسبق أن دعوا له تارة يظهرون الارتباط وأخرى يبدون الاختلاف مع الدعوة الاسماعيلية بأمور طفيفة ، ثم انقسموا على أنفسهم رغبة بتفرد كل منهم بالامر وجعله في أسر معينة ينتسبون إليها ، وهذا الانقسام كان يؤول بالقرب أو البعد من الامام الاسماعيلي ، ونسب كل قسم الى المنطقة التي قوي نفوذه فيها فيقال قرامطة العراق وقرامطة البحرين وقرامطة اليمن وغيرهم .

لما كان المظهر السياسي الاول للقرامطة هو مبدأ التشيع فلا بد من إعطاء فكرة بسيطة عن جماعة الشيعة . والشيعة جماعة من الامة وجدت في أواخر العهد الراشدي ، ورأت أن تنحصر الخلافة في علي بن أبي طالب وأبنائه من بعده ، بل وجدت أن هذا الحق إنما هو بأمر الله سبحانه وتعالى ونص منه الى رسوله صلى الله عليه وسلم ، إذ تحتج هذه الجماعة بحديث « غدير خم » فتقول : لما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع التي كانت في السنة العاشرة للهجرة نزل في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة بـ (الجحفة) وهي بين مكة والمدينة ، وهناك جاءه الوحي بالآية الكريمة « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم

تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس » (١٦) ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم صدع بأمر ربه ، وأمر بالصلاة ، حتى إذا انتهى منها خطب الناس ، وأخذ بيد ابن عمه علي بن أبي طالب ، فكان مما قاله في خطبته « أستم تعلمون أنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى يارسول الله • قال أستم تعلمون أنني أولى بكل مؤمن من نفسه قالوا : بلى يارسول الله • قال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار » (١٧) . ولهذا لم تعترف جماعة منهم بإمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، على حين تعترف جماعة أخرى وتقول : مادام علي قد رضي عن إمامتهم فنحن نرضى ودليل رضائه أنه لم يخرج عليهم • كما لم يرضوا جميعاً بخلافة بني أمية وخلافة بني العباس ، وقاموا بحركات كثيرة ضد العهدين •

هذا هو الخلاف الاول بين جماعة الشيعة وسائر الامة ، لم يختلفوا في ذلك عن سائر المسلمين • ولكن بمرور الزمن أصبح هذا الخلاف أصلاً من أصول العقيدة الشيعية وفرضاً من فروض الدين عندهم ، وأساس المذهبية ، وعنه تفرعت مسائل أخرى وآراء

(١٦) سورة المائدة الآية ٧٠ .

(١٧) هذا ما يركز عليه الشيعة ، ولا يعترف بذلك أهل

السنة .

جديدة ، تجمعت على مدى الايام وتبلورت وكونت العقيدة الشيعية التي نعرفها اليوم (١٨) .

رأت الشيعة أن تأخذ أمور دينها من أبناء علي حفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهم أعلم من غيرهم بأمور دينهم ، ثم وجدوا أن يكون الأبن الأكبر من أهل البيت هو الإمام وصاحب الحق الشرعي في ذلك ، ولا يمكن أن تنتقل الامامة من الاخ الى أخيه إلا في حالة واحدة هي انتقالها من الحسن بن علي إلى أخيه الحسين إذ يعدون أن الامامة كانت مستودعة عند الحسن ومعنى الإمام أنه الخليفة أي أمير المؤمنين إذ لافرق في الاسلام بين الدين والسياسة فليس من المعقول أن يكون الانسان في المسجد متعبداً ويكون خارجة غاشياً للناس أو كاذباً باسم السياسة أو دجالاً من الدجالين باسم المصلحة أو التقية ، وليس الدين لله كما يزعم بعض الجهلة ويرددون ما يقوله غير المسلمين ممن ليس في دياناتهم تشريعات للناس ولكن الدين للناس أنزل لذلك « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » (١٩) .

ثم تطورت فكرة الامام عند الشيعة الى اختيار أبرزهم في

(١٨) طائفة الاسماعيلية محمد كامل حسين الطبعة الاولى

ص ٤ - ٥ .

(١٩) سورة النساء الآية ٦٥ .

الحياة العامة ، وقد التفوا حول جعفر الصادق ، وعدوه إماماً على الرغم من أنه لم يناد بنفسه إماماً ، ولم يقم بثورة يطالب فيها بالحكم ، إلا أن الشيعة رتبوا فيما بعد لانقسامهم أئمة حسب هواهم ، وكانت على الشكل التالي .

[١] علي بن أبي طالب (٢٣ ق.هـ - ٤٠ هـ)

|

[٢] الحسن (٣ - ٥٠) [٣] الحسين (٤ - ٦١)

|

[٤] علي زين العابدين (٣٨ - ٩٤)

|

زيد (٧٩ - ١٢٢) [٥] محمد الباقر (٥٧ - ١١٤)
الزيدية

|

[٦] جعفر الصادق (٨٠ - ١٤٧)

وكان جعفر الصادق رضي الله عنه صاحب رأيٍ سديدٍ وحكمة بالغة ، ولم تكن آراؤه لتختلف عن سائر المسلمين ، وقد دارت حولها كتابات من علماء الشيعة في القرن الرابع الهجري وما تلاه من قرون ، فغيرتها عن حقيقتها ، فتطورت هذه الآراء بمرور الزمن ، ونسبت الى الصادق تعاليم وآراء لم يقل بها ، كما أدخل بعض الشيعة في تعاليمه آراء هي من تراث الأمم القديمة التي خضعت للمسلمين أو التي امتزجت مع المسلمين على نحو ما ،

فكثرت الآراء واختلفت النزعات وتشعبت الأهواء ، وظهر عند بعض البيئات الشيعية انحراف ومغالة في الآراء الدينية . وبهذا ومنذ ذلك الزمن أصبح للشيعية عقيدة تختلف عن عقيدة أهل السنة ، وبخاصة فيما يتعلق بالأئمة وعصمتهم ومركزهم وتأويلاتهم والخضوع لهم ...

تفرقت الشيعة بعد جعفر الصادق الى فرقتين بسبب الإمامة ، فالأكثرية تبعت موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، وتتابعت بعده الأئمة حتى الامام الثاني عشر وهو محمد المهدي الذي قيل إنه غاب واختفى في سرداب عام ٢٦٥ هـ ، ولهذا عرفت هذه الفرقة بالاثني عشرية ، ويعتقد أتباعها أن هذا الامام لا يزال حيا ، وينتظرون عودته ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا . وقد اختفى هذا الامام وهو صغير ، أو هكذا ادعى باب الامام الحادي عشر حسن العسكري ، وهو محمد بن نصير مع العلم أنه من المعروف أن الحسن العسكري لم ينجب أولاداً .

تسلم أتباع هذه الفرقة حكم عدة مناطق وفي وقت واحد إلا أنهم بقوا متفرقين ، كما أن البويهيين هم من هذا الضرع وقد حكموا أمر بغداد إلا أنهم لم يعترفوا بأية دعوة شيعية أخرى غيرهم ، وقد كانت الحركة الاسماعيلية^(٢٠) نشطة آنذاك ، ولكنهم لم يعترفوا

(٢٠) طائفة الاسماعيلية - محمد كامل حسين الطبعة الاولى

بها الأمر الذي جعلهم يحافظون على الخلافة العباسية ويعتقدون
خلفاءها وهم من أهل السنة ، إذ استمروا رمزاً للسلطة ولكنهم
تحت سلطة البويهيين وإدارتهم .

ومع غياب أئمة هذا الفرع فقد ضعف أمرهم ، وبقيوا في
المناطق التي وجدوا فيها يخضعون لحكامها ، وقد يتحركون أحياناً
ولكن حركتهم لم تكن لتظهر ثمارها وهذا ما جعل بعضهم يسقطون
صلاة الجمعة ما دام الامام غير قائم بالأمر .

(٨٠ - ١٤٧)

[٦] جعفر الصادق

|

(١٢٨ - ١٨٣)

[٧] موسى الكاظم

|

اسماعيل
الاسماعيلية

(١٥٣ - ٢٠٣)

[٨] علي الرضا

|

(١٩٥ - ٢٢٠)

[٩] محمد الجواد

|

[٢١٤ - ٢٥٤]

[١٠] علي الهادي

|

(٢٣٢ - ٢٦٠)

[١١] الحسن العسكري

|

(٢٥٦ - ٢٦٥)

[١٢] محمد المهدي

الإسماعيلية

أما الفرقة الثانية من الشيعة فهي الاسماعيلية ، وتنسب الى اسماعيل بن جعفر ، كما تسمى بالسبعية حيث يعد اسماعيل الامام السابع حسب ترتيبهم ، وعلى الرغم من أن اسماعيل قد مات في عهد أبيه إلا أن أتباعه يقولون : إنه لم يمت ، ولكن أباه جعفر الصادق بعد أن أوصى له بالإمامة كتب محضراً بوفاته ، وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة ، حيلة منه لإخفائه من رقعة الخليفة العباسي ، ثم أرسل هذا المحضر الى الخليفة أبي جعفر بالذات ، وتوجه اسماعيل سراً الى (السلمية) من أرض الشام حيث كان يقيم فيها آنذاك رهط من بني هاشم ، فزعم أنه منهم ، ثم غادر (السلمية) متوجهاً الى دمشق عندما علم الخليفة العباسي بمكان وجوده ، وكتب الخليفة الى عامله في دمشق أن يقبض على اسماعيل إلا أن العامل كان من الاسماعيليين فأعلمه بالخبر ، ففر الى البصرة حيث شوهد هناك عام ١٥١ هـ ، وكان ينتقل بين أتباعه بأسماء مختلفة حتى توفي عام ١٥٨ هـ . وكان من بعده ولده محمد الذي هو أكبر من عمه موسى الكاظم ، كما ان الاسماعيليين يقولون : إن الامامة لا يمكن أن تنتزع من شخص وتوضع في شخص إذ أن الأئمة معينون بالنص ، إضافة الى ذلك فلا تنتقل من أخ الى أخيه ،

وإنما الى الولد الأكبر ، ولهذا لا يمكن أن تنتقل من اسماعيل بعد أن عيّن إماماً إلى أخيه موسى ولكن إلى ولده محمد .

أما بقية الشيعة فيقولون غير ذلك ، ويذهبون مذهباً آخر في هذا الموضوع فيقولون : إن اسماعيل لم يكن بالرجل الذي يصلح للإمامة إذ كان مدمناً على الخمر ، وصديقاً لأبي الخطاب الأسدي الفاسق الملحد الذي ادعى ألوهية جعفر الصادق ، وكان ولوعاً بالنساء ، ولم يكن هذا ليرضي والده الإمام جعفر ، الأمر الذي جعل الوالد يتبرأ من ولده ، بل ويسرّ لوفاته ، ويعطي الإمامة لولده الثاني موسى الكاظم على الرغم من صغره .

والمهم أن الاسماعيلية قد التفت حول محمد بن اسماعيل الذي تكتنف حياته الغموض ، وتتضارب آراء أتباعه فيه ومؤرخيهم حتى يصعب معرفة الصحيح منها ، ويسمون هذه المدة (فترة الستر) بالنسبة إلى الأئمة ، حتى تختلف الروايات حول عدد الأئمة . ويقال : إن محمد بن اسماعيل قد اضطر إلى أن يترك مسقط رأسه (المدينة المنورة) ويهاجر الى (خوزستان) ومنها الى بلاد (الديلم) جنوب بحر الخزر ، ولم يعلم عنه بعد ذلك شيء ، ثم يقال : إن أسرته قد وفدت الى (السلمية) من بلاد الشام على شكل تجار ، واستقرت هناك ، ومن (السلمية) بدأ الأئمة يتصلون بدعاتهم ، ومن هنا جاءت الاختلافات ، وكثر ادعاء المنتسبين إلى الامام محمد بن اسماعيل وبخاصة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، عندما اختفى الامام الثاني عشر عند الشيعة فصاروا بلا إمام ، انتقل عدد منهم الى الفرقة الاسماعيلية يعملون

باسم الامام المنتظر . كما جاءت الاختلافات من الاسماء التي تدل على اسم آخر مثل عبد الله الذي عرف باسم (أحمد الوفي) ، وأحمد الذي لقّب باسم (محمد التقي) والحسين الذي سُمّي باسم (عبد الله الرضي) وهكذا ... وهذا جانب آخر يستطيع الكثير من المتطلعين الى الزعامة والنفوذ أن ينتحل نسباً ، ومن هنا ظهرت شجرات أنساب كثيرة تلتقي بمحمد بن اسماعيل ، ويختلف بعضها عن بعض اختلافاً يَبْيناً ولعل أهمها :

اسماعيل	المتوفى ١٣٨ هـ
محمد المكتوم	المتوفى ١٦٩ هـ
عبد الله (أحمد الوفي)	المتوفى ٢١٢ هـ
أحمد (محمد التقي)	المتوفى ٢٢٩ هـ
الحسين (عبد الله الرضي)	المتوفى ٢٦٧ هـ

ادعى كثير من المتطلعين الى الزعامة والثورة النسب العلوي ، ووضعوا لأنفسهم نسباً يصل الى اسماعيل ، ولهذا قامت عدة حركات في آن واحد التقى بعضها مع بعض إذا دعت الظروف السياسية ، ثم عادوا فاختلفوا حسب الزعامة والرغبة في النفوذ والافراد بالسلطة والاستئثار بالأسرة التي ستبقى هي الحاكمة أو صاحبة المركز الديني ، وفي هذه المرحلة دخلت الافكار الغريبة والمبادئ البعيدة عن الاصل الاسلامي الى هذه الحركات .

القَرَامِطَةُ

ومن هؤلاء المدعين النسب العلوي القرامطة الذين انتشرت حركتهم في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري على أطراف البادية في اليمن وجنوبي العراق والبحرين ، ومن هذه الاماكن انتقلت حتى شملت على أجزاء واسعة من البادية كلها والصحراء ، ووصلت الى أطراف البوادي من الجهة الثانية ، لذا أصبح ميدانها وسط الصحراء حيث مجال التوزع سهل إذا داهمتهم جيوش الخليفة ، ويكون الفرار أهون ، والانتقال الى طرق القوافل ميسوراً ، والركب ما ينفك يقطع أكباد الإبل في سبيل التجارة أو الذهاب الى الحج ، لذا كان التجار والحجاج اكثر من تعرض لغدر القرامطة ، ولقوا منهم كل أنواع الإثم والفواحش والقتل والتمثيل ، وفي البادية يمكن أن يتخذ المحاربون واللصوص وكل فرق القرامطة من أمثالهم صفة البدو الذين يعيشون فيها ، أو إن بعض القبائل كانت تشجع القرامطة في سبيل مصلحتها جعلهم يغيرون على أعدائها ويقاتلون خصومها ، وربما ترى رأيهم أحياناً في سبيل الوصول إلى غايتها في النهب والسلب والتحكم . ومن البادية يمكن أن يغير القرامطة على المدن وأطراف المعورة فيعملون فيها هتكا وقتلا وانتهاكا للحرمان ونهباً لما فيها ، والمدن التي تقع على أطراف

الحواضر هي وحدها التي تعرضت لجرائم هؤلاء الخارجين على الشرع والقانون ، وأصابتها غاراتهم الأثمة فدمشق وحمص وحماء وحلب والرقّة والكوفة والبصرة وواحات الصحراء كلها ذاقست الويلات منهم ، أما المدن الواقعة وسط العمران بعيدة عن البادية فقد نجت من جرائمهم ، وما وصلوا إليها أبداً إذ بقيت منطقتهم محصورة في الأراضي المكشوفة . ومن البادية يمكن أن يكتشف الخارجون أعداءهم من بعيد قبل أن يداهموهم فيتوزعون أو يظهرون أنهم يمارسون عملهم المعتاد ومهنتهم المعروفة وهي الرعي أو المبادلة والاتجار بالنعم قبل الأسفار . وفي البادية تسهل الحركة إلى أية جهة يريدونها ، إذ أن أخبار حركة المسافرين والحجاج والتجار والجيوش تصل إليهم بسرعة إذ يسهل ذلك على قاطنيها ويتعذر في الوقت نفسه على روادها ومن لم يتعود الانتقال إليها والحياة فيها .

وكذلك فهناك المناطق البعيدة عن قاعدة الدولة فهي تشبه البادية بصعوبة حركة الجيوش وتنقلها لذا كانت المغرب هدفاً لهم ، كما استطاع القرامطة أن يرسلوا دعائهم إلى اليمن ٥٥٥٠ وفي النهاية انتقل إليها أحد المدّعين وأسس فيها دولة امتد نفوذها حتى شمل شمالي إفريقية وجزر البحر الأبيض المتوسط وجزءاً من بلاد الشام والحجاز ألا وهي الدولة الفاطمية على حين كانت اليمن مركز المدّ قد قامت فيها دولة اقتصرت على مكانها وقصرت مدّة سيطرتها .

عُزّي إلى القرامطة بعض العقائد التي تقول بالحلول وتأليه

الأئمة وحتى الدعاة في بعض الأحيان وبهجر كل الأوامر والنواهي المفروضة على المسلمين أو بتعبير آخر رفع التكاليف عن القرامطة من قبل الداعي أو الإمام •

ولم يكن للدعاة أية برامج اجتماعية أو اقتصادية كما يحلو للبعض أن يصورهم ويضع لهم ما لم يفكروا فيه ليرفع من شأنهم ، وإنما كانت لهم برامج سياسية مع المبالغة أو إذا صحّ هذا التعبير إذ ترمي البرامج السياسية الى معانٍ أكثر مما عملوا لذلك بكثير فقد كانوا يظهرون عدم الرضا عن الوضع القائم ، وكل ما اتخذوه من برامج إنما كانت وسائل آنية في سبيل كسب الأنصار إليهم • ولما كان المجتمع إسلامياً كانت دعواهم تنتحل ذلك ، ويظهرون الاسلام ، والعبادة الكثيرة التي تبلغ أضعاف الفرائض المكتوبة في سبيل إبداء التقوى والزهد فيما إذا كانوا أمام غيرهم ويرفعون التكاليف عن أنفسهم فيما بينهم ، هذا مع العلم أن الزيادة في الدين كالانقاص منه فكله تحريف وتشويه ، فالفرائض ثابتة لا تزيد ولا تنقص • وينادون بأن الإمام المنتظر قد قرب وقته، وسيطبق الاسلام وسيملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً • ويدعون أن هناك معاني للقرآن والحديث رمزية وتأويلات باطنية إلى جانب المعاني المعروفة ولا يعرف هذا إلا الإمام •

ولما كانت حركة القرامطة قد قامت في مناطق واسعة وفي عدة بقاع فقد نسب كل قسم إلى المنطقة التي قوي نفوذه فيها فيقال قرامطة اليمن ، وقرامطة البحرين ، وقرامطة العراق على الرغم من

أن قيامهم كان في وقتٍ واحد تقريباً ، وبعضهم على صلة ببعض
ومع هذا فلم يؤلفوا حكومة واحدة تشمل البقاع التي سيطروا
عليها كلها إذ لم تكن لهم مركزية في الحكم وما ذلك الاختلاف إلا
بسبب الأطماع التي كانت في ذهن كل مجموعة منهم أو كل أسرة
إذ لم يكن لهم هدف واحد معين يدعون له ، وكل ما جمعهم إنما
هو الرغبة في اتباع الهوى وارواء الفرائز ، ويجب ألا ننسى هدف
المحركين الأساسيين من المجوس في تهديم الاسلام ، ولكن لا يمكن
أن يستمر هذا التوافق بين القادة والأتباع إذ أن الأهداف المختلفة
لا تلبث أن تظهر التباين ، ويظهر قادة جدد ينفصلون في بعض
الجهات فتتجزأ الحركة الواحدة ، إلا أن التخطيط المجوسي
يستطيع أن يستغل الطرفين حيث يسير الأتباع دون تخطيط ثم
يكون الخلاف من جديد وهكذا .

الدَّعْوَةُ فِي السَّلَامِيَّةِ

أُشِيعَ أَنَّ أَسْرَةَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ قَدْ انْتَقَلَتْ إِلَى السَّلَامِيَّةِ ،
وَاسْتَقَرَّتْ هُنَاكَ ، وَمِنَ السَّلَامِيَّةِ بَدَأَ الْأَئِمَّةُ مِنْ أَحْفَادِ مُحَمَّدِ بْنِ
إِسْمَاعِيلَ يَتَصَلُّونَ بِدَعَائِهِمْ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَلَا نَدْرِي هَلْ كَانَ هَذَا
الْخَبَرُ صَحِيحًا ، أَمْ أَنَّ الدَّعَاةَ أَشَاعُوا هَذَا الْخَبَرَ وَبِخَاصَّةِ مَيْمُونِ
الْقَدَّاحِ الَّذِي جَاءَتْ أَسْرَتُهُ إِلَى السَّلَامِيَّةِ تَحْمِلُ الدَّعْوَةَ إِلَى الْإِمَامِ
الْإِسْمَاعِيلِيِّ الْمُنْتَظَرِ ، وَمَيْمُونُ هَذَا قَدْ عَاصَرَ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ ،
وَكَانَتْ لَهُ أَهْدَافٌ خَاصَّةٌ إِذْ أَنَّ أَبَاهُ (دِيصَانَ) كَانَ مَجُوسِيًّا ، أَمَّا
هُوَ فَقَدْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ وَانْخَرَطَ فِي صُفُوفِ الدَّعْوَةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ فِي
وَقْتٍ مُبَكِّرٍ ، ثُمَّ وَرَثَهُ أَبْنَاؤُهُ فِي الدَّعْوَةِ وَالْعَمَلِ مَعًا إِذْ تَسَلَّمَ الْأَمْرَ
مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ (عَبْدُ اللَّهِ) الْمُتَوَفَى عَامَ ١٨٠ هـ ، ثُمَّ (أَحْمَدُ) فَزُ (الْحُسَيْنُ)
وَهَكَذَا أَصْبَحَ التَّشَابَهُ بَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ وَأَبْنَاءِ مَيْمُونِ الْقَدَّاحِ
مِنْ حَيْثُ الْأَسْمَاءُ .

الاسرة القداحية

الاسرة الاسماعيليه

ديسان

اسماعيل

ميمون

محمد

عبد الله

عبد الله

أحمد

أحمد

الحسين

الحسين

عبيد الله (المهدي)

وعندما وجدت الاسرة القداحية نفسها ذات امكانات وطاقات بما تحصل عليه من مال ودعم مشبوه وتأيد من الاسماعيليين عدت نفسها من نسل محمد بن اسماعيل وبخاصة عندما وجد هذا التشابه في الأسماء ، وقامت بالأمر ، وأعلن عبيد الله أنه المهدي المنتظر ، وانتقل نحو المغرب عن طريق الرملة التي بقي فيها مدة من الزمن متخفياً، على حين أن الدعاة كانوا عندما يأتون الى السلمية يلتقون بشخص آخر غير (عبيد الله) هذا ، ضاع اسمه ، واختفت شخصيته بإعلان عبيد الله الامامة لنفسه واتخاذ لقب المهدي .

انتقل عبيد الله إلى المغرب ، وأسس هناك الدولة الفاطمية بعد أن تخلص من داعيته (أبو عبد الله الشيعي) الذي أرسله ابن

حوشب من اليمن ، وهكذا نجد أن الاختلاف قد وقع في نسب
الفاطميين أصحاب المغرب ثم أصحاب مصر . ولهذا يحرص عدد
من المؤرخين على أن يطلق عليهم اسم العبيدين نسبةً إلى عبيد
الله المهدي هذا ومن المؤرخين من يقول « إن عبيد الله ابن لرجل
يهودي كان حداداً بسلمية . فلما مات ذلك الحداد تزوجت أرملة
أحد الأشراف العلويين فترى الغلام ابن الحداد في منزله ، فلما كبر
الغلام اتخذ لنفسه النسب العلوي ، ولم يكن هذا الغلام - ابن
الحداد - إلا عبيد الله نفسه » .

استطاع عبيد الله أن يقيم دولته عام ٢٩٧ هـ ، وأن يقضي على دولة
الأغلبة ، وحكمت أسرته من بعده فقام القائم بأمر الله ، والمنصور بالله ،
وفي عهد المعز لدين الله استطاع العبيديون دخول مصر ، ونقل
مركز حكمهم إليها إذ بنى قائد المعز جوهر الصقلي مدينة القاهرة
عام ٣٥٨ هـ ، وفي عهد الحاكم بأمر الله دعا حمزة بن أحمد إلى
ألوهية الحاكم عام ٤٠٨ هـ ، ثم خاف على نفسه عندما أراد العلماء
قتله ففر إلى وادي التيم في لبنان وهناك دعا إلى فكرته ونشأ
المذهب الدرزي .

وفي أيام المستنصر نص على أن يكون إماماً من بعده ولده
نزار ، ولكن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي نحى نزاراً ، وأعلن
إمامة المستعلي الابن الأصغر للمستنصر ، وكان صغيراً وهو في
الوقت نفسه ابن أخت الوزير ضارباً عرض الحائط بمشروعية نص
الفاطميين والشيعة جميعهم الذين يقولون إن الإمامة تنتقل إلى

الولد الأكبر فقط ولا يمكن أن تنتقل من آخر إلى أخيه ، ولم يقفه الأمر بالوزير الجمالي عند هذا الحد بل ألقى القبض على نزار ووضعه في السجن وسد عليه الجدران حتى مات . وبهذا انقسمت الاسماعيلية الى قسمين : المستعلية وهم أتباع المستعلي وقد بقيت في مصر واليمن ، إذ أن الدولة الصليحية في اليمن كانت من أتباع المستنصر وقد استطاع علي بن محمد الصليحي فتح مكة عام ٤٥٥ هـ بعد أخضع اليمن كلها ودعا الى الإمام المستنصر . وفي عهد المستعلي بدأت الحروب الصليبية ، ولم يستطع خاله الأفضل ردّها لتمرّد الجيش عليه . وفي عام ٤٥٩ هـ قتل الصليحي ثم انقرضت الدولة حوالي عام ٥١١ هـ . وكان التجار الذين ينتقلون إلى الهند قد نشروا تلك الفكرة هناك ، وعرف أصحاب الفكرة الاسماعيلية باسم البهرة^(١) . وكذلك انقسمت الاسماعيلية في اليمن الى فرقتين تبعاً لدعاتها فكانت البهرة الداودية وقد انتقل الداعية قطب شاه داود الى الهند ، والفرقة السليمانية ، وكان يقيم الداعية سليمان بن حسن في اليمن ، وقد نسبت هذه الفرقة له .

وبعد المستعلي كان ابنه الأمر إماماً ، ويقول (البهرة) إن إمامهم من نسل الطيب بن الأمر على حين لم يكن للأمر ولد ، وإنما ادعت (أروى) من أواخر ملوك الصليحيين في اليمن أن إحدى زوجات الأمر كانت حاملاً عندما توفي زوجها فولدت الطيب بعد

(١) البهرة : لفظ هندي قديم بمعنى تاجر .

وفاته ، والإمام المستور إنما هو من نسل الطيب ولكن عبد المجيد الحافظ كان إماماً مستودعاً للمستعلي ، واستمرت الإمامة في حفيده حتى قضى صلاح الدين الأيوبي عام ٥٦٧ هـ على الفاطميين (العبيدين) عندما مات عبد الله العاضد آخر خلفائهم ، وكان صلاح الدين وزيراً في مصر للعاضد .

أما نزار بن المستنصر فقد ثار على إمامة أخيه المستعلي ، ولكنه فشل فقتل هو وابنه ، فقام داعية العبيدين في فارس وهو الحسن بن الصباح فجمع حوله الناقمين على السلاجقة وبخاصة ملكشاه الذي اضطهد الشيعة بعامة والاسماعيلية بخاصة ، واتخذ مبدأ القتل وسيلة لتحقيق أغراضه ، واستولى على قلعة الموت (عش العقبان) ، ووصل الى القاهرة عام ٤٧١ هـ . وأرسل فدائيين من قبله إلى مصر لأخذ نزار بن المستنصر ولكنهم وجدوه قد قتل وابنه ، فأخذوا أحد أبنائه وأخفاه الحسن بن الصباح عنده ، وتوفي الحسن بن الصباح عام ٥١٨ هـ . وقد عرفت جماعته في الشرق باسم الحشاشين بينما عرفت في الغرب باسم السفاكين . وقد عانت المناطق التي سيطروا عليها الكثير من شرهم وكانت غربي بلاد الشام مسرحاً لعملياتهم .

وقد طرح خلفاؤه التكاليف عن أتباعهم أيام الحسن الثاني ، ثم أعادها الحسن الثالث ٥٠٠٠ ثم عادوا الى ترك الفرائض ودخل هولاكو قلعة الموت عام ٦٥٤ هـ .

[١] عبيد الله المهدي
|
٢٩٧ - ٣٢٢

[٢] القائم بأمر الله
|
٣٢٢ - ٣٣٤

[٣] المنصور بالله
|
٣٣٤ - ٣٤١

[٤] المعز لدين الله
|
٣٤١ - ٣٦٥

[٥] العزيز بالله
|
٣٦٥ - ٣٨٦

[٦] الحاكم بأمر الله
|
٣٨٦ - ٤١١

[٧] الظاهر
|
٤١١ - ٤٢٧

[٨] المستنصر
|
٤٢٧ - ٤٨٧

الاسماعيلية	المستعلي	محمد نزار	الاسماعيلية
الامر	عبد المجيد الحافظ	٤٨٧ - ٥٤٤	الشرقية
الطيب	يوسف		
	عبد الله العاضد	٥٤٤ - ٥٦٧	

قِرَامِطَةُ الْيَمَنَ

إن أول حركة قامت للقرامطة كانت باليمن ، إذ استطاع (الحسين بن حوشب) الملقب بـ (منصور اليمن) أن يجمع حوله عدداً من القبائل اليمنية ، ، وأن يظهر الدعوة بينهم باسم الإمام الاسماعيلي المنتظر ، وقد تمكن عام ٢٦٦ هـ أن يؤسس أول دولة اسماعيلية أو أن الحركة قد استطاعت أن تكسبه الى صفوفها بعد نشاط حركتها وغياب أئمة الشيعة . وكان من أكبر أعوانه (علي ابن الفضل) . واستطاع ابن حوشب أن يقوم بنشاط خارج اليمن وأن يرسل الدعاة الى عدة جهات ، وكان من بينهم (أبو عبد الله الشيعي) الذي أرسله إلى بلاد المغرب إذ اختارها لبعدها عن مركز الدولة العباسية، ولسهولة اقتناع البربر بفكرته وجلبهم الى صفوف دعوتـه لجهلهم وسذاجتهم الدينية بالإضافة الى أنهم أهل قوة وعصبية فعندما يكسب بعض زعماء قبيلة ما ، لا يلبث أن ينضم إليه أفراد القبيلة كافة ويتحمسون لدعوتهم . واستطاع أبو عبد الله الشيعي أن يكسب إلى جانبه قبيلة (كتامة) التي حملت الفكرة وعملت لها ، وما إن وصل خبر نجاح الدعوة في المغرب إلى السلمية حتى انتقل إليها (عبيد الله المهدي) الذي وضع لنفسه نسباً فاطمياً وتسمى بالمهدي ، فادعى أنه عبيد الله بن الحسين بن أحمد بن عبد

الله بن محمد بن اسماعيل ، وتسلم الأمر ولكن لم يلبث أن اختلف مع داعيته أبي عبد الله الشيعي الذي لم يعترف عليه إذ كان غير الذي رآه في السلمية واستطاع عبيد الله أن يتخلص من أبي عبد الله وفي الوقت نفسه تمكن من اخماد حركة قبيلة كتامة التي ارتبطت بالدعوة مع أبي عبد الله .

واختلف ابن حوشب مع قائد جيشه علي بن الفضل الذي خرج عن الجادة ، وافتن بالتفاف الناس حوله ، فحكم البلاد ، ودخل (زيد) و (صنعاء) ، وادعى النبوة ، وأباح المحرمات ، وكان المؤذن يؤذن في مجلسه : « وأشهد أن علي بن الفضل رسول الله (١) » وأنشد شاعره :

خذي الدف ياهذه والعبي
وغني هزاريك ثم اطربي
تولّي نبي بني هاشم
وهذا نبي بني يعرب
لكل نبي مضى شرعة
وهذي شريعة هذا النبي
فقد حطّ عنا فروض الصلاة
وحطّ الصيام ولم يتعب
إذا الناس صلّوا فلا تنهضي
وإن صوّموا فكلي واشربي

(١) الاعلام للزركلي مادة علي بن الفضل .

ولا تطلبي السمي عند الصفا

ولازورة القبر في يشرب^(١)

ثم امتد به عتّوه ، فجعل يكتب إلى عماله : « من باسط الأرض
وداحيها ومزلزل الجبال ومرسيها علي بن الفضل إلى عبده فلان » .
ثم مات مسموماً عام ٣٠٣ هـ^(٢) ، ولم تلبث دولة القرامطة في اليمن
أن دالت .

(١) اسلام بلا مذاهب - مصطفى الشكعة ص ٢٢٠ .
(٢) الاعلام . خير الدين الزركلي مادة علي بن الفضل .

قِرَامِطَةُ الْعِرَاقِ

كان جنوبي العراق مهد الشيعة الأول ، وأنصار هذه الفرقة كثيرون في هذه المنطقة ، وتلك الجهة قريبة من فارس مركز المجوس ، والجهل يخيم على تلك البقعة فيمكن استغلال السكان وبخاصة الوافدين منهم — وما أكثرهم — والسير بهم حيث يريد المستغلون . وعندما انقطعت الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية كان المجال واسعاً لانتشار الدعوة الاسماعيلية والتحاق أعداد ليست قليلة بها من الشيعة ، وانضمام أفراد من السكان إليها باستمرار نتيجة الدعايات والعمل السري الدائم والتنظيم الدقيق والدعوة باسم الرضا من آل البيت ، وإذا كانت الحركة قد انتقلت بمركزها الى (الأهواز) ثم إلى السلمية إلا أن جنوبي العراق قد بقي القاعدة الرئيسية للدعوة ، وبقعة النفوذ الاساسية لها .

كان من الدعاة الاسماعيليين (مهرويه) أحد الذين يخفون عقيدتهم المجوسية ، وهو من أصل فارسي ، و (حسين الأهوازي) وهو من الفرس أيضاً ، وربما كانت نسبته إلى (الأهواز) لإخفاء شخصية (حسين) الذي كان رسولاً متنقلاً لإمام الاسماعيلية ، وقد يكون على صلة وثيقة بصاحب الدعوة الأول . وكثيراً ما

كان أصحاب الدعوات الذين يريدون إخفاء شخصياتهم ينتسبون إلى هذه المنطقة لذا نلاحظ هذه النسبة كبيرة بين رجالات الاسماعيلية .

كان عبد الله بن ميمون القداح رأس الدعوة الاسماعيلية ، وكان يريد أن يعمّي على نفسه ، فوزع دعاته في الأمصار ، وبخاصة أبناءه حتى لا تتجه الأنظار إلى مقر إقامته ، فأرسل ابنه (أحمد) ليقم في (الطالقان) من بلاد خراسان ، وطلب من دعاته أن يرسلوه إلى هناك ، كما أعلن عن موت ابنه (حسين) ، ولم يمض وقت طويل حتى خرج من (الأهواز) (حسين) ، وعرف باسم (حسين الأهوازي) وربما كان هو بالذات حسين بن عبد الله ابن ميمون القداح ، كما يقال : إن حسين الأهوازي هو رسول الإمام أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل ، وهنا يبدو تشابه الأسماء بين أسرة أحمد بن عبد الله بن محمد اسماعيل وأسرة أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح — كما مر معنا — ومن هنا جاء الاختلاف وادعاء النسب القداحي إلى آل البيت . كما أنه شاع الإعلان عن موت الأشخاص ثم ظهورهم في مكان آخر باسم ثان وبخاصة عند الاسماعيليين الذين يعتقدون في الأصل — كما ذكرنا أن جعفر الصادق — رحمه الله — أعلن عن موت ابنه اسماعيل وما هو كذلك وانما انتقل سراً إلى السلمية .

عُرف (حسين الأهوازي) كداعية اسماعيلي في جنوب العراق بفضل النظر عن نسبه وأصله ، وقد التقى مرة بـ (حمدان

ابن الأشعث) الذي عرف باسم (قرمط) ، وهو في طريقه إلى السلمية حسبما تدعيه الرواية القرمطية ، وقد استطاع (حسين) استمالة (حمدان) إلى دعوته ، وسار معه إلى قريته حيث بدأ العمل هناك بنشاط إذ أن حمدان كان صاحب علاقات اجتماعية كثيرة حيث كان ناقماً على المجتمع وكثير الكلام على الأوضاع ، وكان المحيط الذي يعيش فيه حاقداً على الحكم العباسي فيستمع إلى من تعود على النقد ، فتوسعت الدعوة بحيث لم يعد أحد ينكر مركزها ، وترقى حمدان في سلم الدعوة ووصل إلى مكانٍ مرموق فيها ، وهناك من يقول : إن أصل حمدان يعود إلى الفرس المجوس الذين يكثرون في ذلك الوسط ، ويخططون للعمل ضد الدولة ، ويعملون على تهديم الاسلام ، وهناك من يقول : إن أصل حمدان يرجع إلى يهود نجران الذين كانوا يشبهون المجوس في الخطة والهدف وكثيراً ما عمل الفريقان في مخطط واحد .

في هذا الوقت كان حركة الزنج قائمة في جنوبي العراق ، وقد سيطرت على مدينة البصرة ، وامتد نفوذها ، واستطاعت الانتصار على الجيوش العباسية في عدد من الوقائع . (حسين الأهوازي) أن يشارك في هذه الحركة كمرحلة من مراحل عمله ، إذ لا يستطيع وحده آنذاك أن يقوم بعملٍ مشر . والحركات الانتهازية دائماً يستغل بعضها بعضاً أو يركب بعضها طريق الآخر حتى إذا تم له ما يريد انفرد وحده فالغاية عندهم تبرر الوسطة .

التقى حسين الأهوازي بصاحب الزنج عام ٢٦٤ هـ ، وعرض

عليه المساعدة مادامت الغاية واحدة والوسيلة واحدة إلا أن صاحب الزنج قد عرف رغبة الأهوازي في سرقة الثورة فرفض المساعدة حيث كان الزنج في أوج القوة التي وصلت إليها حركتهم فلم يبالوا بالمون .

لم تلبث حركة الزنج أن فشلت ، وقضى عليها العباسيون بعد أن عرفوا الأسباب التي دعت إليها فعندما حاولوا التخلص منها ودعوا إلى تطبيق الاسلام الذي يقضي عليها ووجد الدواء لها انقرط عقد الزنج وتخلص العباسيون من حركتهم . عندما هدأت الأوضاع استطاع (حسين الأهوازي) أن يجدد نشاطه ، وأن يقنع أتباعه ويمنيهم بأنهم سيملكون الأرض . وفرض ديناراً على كل من أجابه لدعوته ليضمن نظمهم ، ووضع عنهم الصوم والصلاة والفرائض جميعاً ، وأحل لهم أموال المخالفين لهم ودماءهم وأعراضهم ونظمهم تنظيمًا دقيقاً إذ جعل منهم اثني عشر نقيباً ، وكان من أبرزهم (قرمط حمدان بن الأشعث) .

مات (الأهوازي) فخلفه في رئاسة الدعوة (القرمطي حمدان ابن الأشعث)، فابتنى لأتباعه داراً للهجرة في سواد الكوفة عام ٢٧٧ هـ ، وسار على طريقة أستاذه الأهوازي ، وهكذا أصبح للدعوة القرمطية مركز يؤمونه وقاعدة يمكنهم الانطلاق منها . اختار القرمطي دعائه وكان من أشهرهم ابن عمه وصهره (عبدان) وهو الذي نسبت إليه كثير من كتب القرامطة ، و (زكرويه بن مهرويه) الذي أخذ الدعوة عن أبيه كما ورث عنه ما كان يشغل

بإله في القضاء على الاسلام وتأسيس أسرة فارسية يعود إليها الحكم ، و (أبو الفوارس) الذي قاد ثورة القرامطة عام ٢٨٩ هـ . فرض القرمطي على أتباعه مبالغ عليهم أن يدفعوها ، وتصرف في هذه الأموال فجذب إليه الفقراء الذين قدم إليهم المساعدات ، واشترى السلاح فأخاف الناس فالتحقوا بدعوته تخلصاً من شره وطمعاً في الغنائم التي مناهم بالحصول عليها من أموال المخالفين له وربما كان يعمل هذا القرمطي لنفسه ، أو أنه مقتنع بالعمل لإمامة الاسماعيلية الذين سيعملون بدورهم للغاية التي يعمل هو لها ، أو هكذا كان يظن .

كان القرامطة دعاة للاسماعيلية ، ثم انحرفوا عنهم عندما علموا أن الدعوة في السلمية لم تعد لأولاد محمد بن اسماعيل وإنما لأولاد عبد الله بن ميمون القداح . وأصبح الاختلاف واضحاً بين الفريقين في الوسائل التي اتخذوها وفي العقائد التي غدت للقرامطة ، وعدمهم الاسماعيليون ملاحظة .

كان أتباع قرمط يتلقون التعليمات من السلمية ، ويسرون حسبها بشكل دقيق ومنظم ، وذات مرة أرسل قرمط رسوله إلى مقر الدعوة في السلمية ، والتقى الرسول هناك بصاحب الدعوة الأول وبينما كان الحديث يدور بينهما عن الإمام المنتظر ، إذ أجيب الرسول أن هذا الموضوع إنما هو خرافة ، والدعوة هي لأولاد عبد الله بن ميمون القداح ، إذ ظن صاحب الدعوة الأول أن

القرامطة قد التزموا بالخط تماماً وأنهم أصبحوا مرتبطين به بشكل أكيد ، وقد آن له أن يفتحهم بالأمر •

عاد الرسول إلى سواد الكوفة ونقل الخبر إلى (قرمط) الذي أدرك اللعبة وترك الصلة بالسلمية ، وبدأ العمل وحده منفرداً ولنفسه • وعندما حدث هذا التغير في طريقة (قرمط) حضر (أحمد ابن عبد الله بن ميمون القداح) من (الطالقان) إلى الكوفة وهو كبير الدعاة للإسماعيلية وصلة الواصل بين السلمية ودعاتها ، فعاتب (عبدان) ابن عم (قرمط) وهو مفكر القرامطة عاتبه على السير على نهج خاص والعمل على انفراد ، وشق عصا الطاعة إلا أن (عبدان) قد غنّفه ، وطرده من منطقة السواد ، إلا أن (زكرويه بن مهرويه) قد استقبله ، وتآمر الاثنان معاً على قتل عبدان ، فثار أهل السواد حيث إن أكثرهم من أنصاره ، فخرج (أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح) من تلك الجهات على غفلة من أهلها خائفاً يترقب ، واختفى (زكرويه) • وهنا يبدو اتفاق (زكرويه) و (السلمية) كمرحلة من مراحل العمل ، ولكن يبدو أن كلاهما يريد الاستقلال والعمل لنفسه ، وينبغي استغلال الطرف الآخر لمصلحته ، إذ أن (زكرويه) يريد أن يكسب السلمية مركز الدعوة إلى جانبه حتى يربح الأنصار ، ويبقى على رأس العمل ، والسلمية تريد ألا تخرج منطقة السواد من قبضتها وإنما تريد أن تحافظ على بعض الدعاة أمثال زكرويه الذي يمكنه كسب تأييد المجوس المستترين كافة ودعم اليهود المادي • ومع هذا الاتفاق المرحلي

حرص كل طرف على كسب أنصار له في منطقة نفوذ الآخر . ففي الوقت الذي حرصت فيه السلمية على وجود أعوان لها في جنوبي العراق رأى (زكرويه) أن بلاد الشام منطقة خصبة للعمل إذ أن ضعف الطولونيين يساعد على النشاط هناك بينما هو محصور في مخبئه في منطقة السواد خوفاً من أنصار (عبدان) .

يبدو أن هذا الانقسام قد حدث في أكثر من منطقة نتيجة نقل الإمامة من أبناء محمد بن اسماعيل إلى أبناء عبد الله بن ميمون القداح دون معرفة الأتباع والدعاة فأبو عبد الله الشيعي الداعية الاسماعيلي في المغرب كان قد حضر مرة الى السلمية والتقى بالإمام أو قدّم إلى شخص عرّف بأنه الإمام ، فلما نجح في دعوته في المغرب بين أفراد قبيلة (كتامة) ، وانتقل إليه (عبيد الله المهدي) على أنه الإمام رأى أنه غير الذي عرفه بالسلمية فأراد أن يفصل عنه ويقوم ضده إلا أن عبيد الله قد عرف ذلك منه فقتله وقامت قبيلة (كتامة) تنصر داعيتها ولكن عبيد الله كان قد قويت جذوره فاستطاع اخماد ثورة (كتامة) وإطفاء تلك الفكرة التي شاعت بين الناس . وعرف علي بن الفضل قرمطي اليمن الذي حدث في هذا الاختلاف فاتفصل كذلك عن الدعوة القائمة في السلمية ، وبقيت حركته منفصلة عن غيرها في منطقة وحدها .

نقل (زكرويه بن مهرويه) نشاطه إلى بلاد الشام فأرسل ابنه الحسين إلى هناك عام ٢٨٨ هـ ، ومّهد هذا ليحيى بن زكرويه كي يقوم بحركته في تلك الجهات . كان (زكرويه بن مهرويه) وأبوه

من قبل وأبناءؤه من بعد يرغبون في أن يتزعموا الحركة المناهضة ، وأن تكون لهم الدعوة التي يجب أن تسير حسب عقائدهم القديمة وآرائهم الخاصة ، ويبدو هذا من خلافهم مع (عبدان) فعلى الرغم من أنهم كانوا من قادة الحركة ودعاتها الكبار إلا أنهم رأوا (عبدان) و (حمدان) وأنصارهم هم أصحاب السلطة الأوائل ورجال الدعوة المحركين لها ، لذلك تخلصوا منهم ، وبدأ لهم أن يتقوا على صلة مع (السلمية) ليستمر الدعم لهم سواء أكان من الناحية المادية أم من الناحية العسكرية ثم عادوا فاختلفوا مع السلمية عندما قوي مركزهم في بلاد الشام ، ونكلوا بآل المهدي (عبيد الله) الدعي لآل البيت ، وبآل البيت فعلاً ، ثم ادعوا نسباً علوياً حتى لا يفقدوا كل شيء يجعل منهم سادة تتجه نحوهم الأنظار ، ويقوّي مركزهم بين أولئك الأتباع السذج الذين يسيرون وراء كل دعي .

بايع أتباع (زكرويه) ابنه يحيى في سواد الكوفة عام ٢٨٩ هـ ، ولقبوه بـ (الشيخ) ، كما كان يعرف بـ (أبو القاسم) ، على حين بقي أبوه (زكرويه) في مخبئه ، ويبدو أن (يحيى) هذا هو الذي قتل (عبدان) داعية القرامطة الأول .

ادّعى يحيى نسباً اسماعيلياً فزعم أنه محمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، وسار يحيى إلى دمشق بعد أن انتهب واتتهك حرّمات البلاد التي مرّ عليها كلها ، وحاصرها عام ٢٩٠ هـ ، إلا أنه عجز عن فتحها إذ جاءتها نجذات من بغداد ومن مصر ، ولما عرف أنه مقتول لا محالة ادعى أنه سيطلع إلى السماء

غداً ، وأنه سيبقى فيها أربعين يوماً ، ثم يعود ، وأن أخاه (الحسين) سيأتي غداً في نجدة - وكان قد بلغه ذلك فعليهم مبايعته والقتال معه والسير وراءه . وفي معركة اليوم التالي قتل (يحيى بن زكرويه) على أبواب دمشق ، وعرف باسم (صاحب الجمل) حيث كان يستطي جملًا خاصاً .

اجتمع القرامطة على (الحسين بن زكرويه) فادعى نسباً اسماعيلياً وأنه أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، ووضع شامة على وجهه لذا عرف باسم (صاحب الخال) أو (أبو شامة) وقال : إنها آية لما يتم على يديه . وزعم أنه قادر على القيام بمعجزات . خرج الحسين في جهات الكوفة ، وسار نحو أخيه إلى دمشق ، ومرّ في طريقه على (الرملة) غربي بيت المقدس ، وكان (عبيد الله المهدي) مختبئاً فيها في طريقه إلى المغرب خوفاً من العباسيين الذي عرفوا مكانه بالسلمية ، وقد عرف (الحسين) مكان (عبيد الله) وعرف اختلاف القرامطة ، فخرج عليه لاسترضائه وإظهار الطاعة عسى أنه يستفيد منه ، وقد أبدى عبيد الله رضاه ، ولكن ما إن تركه الحسين حتى خافه وخشي أن يقتله أو يخبر العباسيين بمكان وجوده إذ عرف رغبة أسرته في التفرد بالسلطة والرغبة في السيطرة والقضاء على كل من يقف في وجهها ومن جملتهم عبيد الله ، لذا فقد ترك (الرملة) مباشرة ، واتجه إلى مصر ، ومنها إلى المغرب حيث أقام دولته هناك .

سار الحسين من (الرملة) إلى دمشق ، فوجد أخاه يحيى قد

قتل ، فالتف القرامطة حوله ، وحاصر بهم دمشق ، ولكنه عجز عن فتحها ، فطلبه أهل (حمص) فسار إليهم ، فأطاعوه ، ثم انتقل إلى (السلمية) فامتنعت عنه ، ثم فتحت له أبوابها بعد أن أعطى أهلها الأمان ، وما إن دخلها حتى نكل بقاطنيها ، فأحرق دورها ، وهدم القلاع فيها ، وقتل الهاشميين فيها دلالة على الحق الذي في صدور القرامطة على آل البيت وإن ادعوا نسباً يتصل بهم ، وأظهرا لكرهيتهم للإسلام الذي قضى على المجوسية في فارس ، وكان الهاشميون قد قادوا الدعوة للإسلام . ثم قتل آل (عبيد الله المهدي) جميعاً دلالة على الخلاف بينهم على الرغم من أصول الدعوة الواحدة إذ أن كلا الاسرتين تريدان الزعامة والاحتفاظ بالدعوة وبالتالي التمكين لنفسها ، وبخاصة أن عبيد الله المهدي كان قد رفض إعطاء (آل زكرويه) مراكز هامة في الدعوة لما يتحسس منهم ، ويشعر عما في نفوسهم ، لذا نقموا عليه ، وبدأ الخلاف بين الطرفين . وعندما التقى (الحسين) بالإمام (عبيد الله المهدي) في (الرملة) أظهر (عبيد الله) الإيجاب ، وأنه يحسن الظن بآل زكرويه وذلك حتى لا يضره فهو غير قادر على مقاومتهم في بلاد الشام ، ولا يملك من القوة إلا القليل من الأتباع الذين لا يستطيعون الدفاع عنه ، إضافة إلى أنه يخشى على أهله في (السلمية) - وقد غادرها - وذلك إذا تمكن (آل زكرويه) من السيطرة عليها ، وهذا ما قد وقع .

سار (الحسين) بقرامطته إلى (حماه) و (المعرة) و (بعلبك)

وقتل أهل كل بلد وصل إليها ، وأغارت جماعته على جهات (حلب) ،
ولكنهم غلبوا لذا عادوا فاتجهوا الى جهات (الكوفة) مقرهم
الأصلي ، وهناك قاتلهم الخليفة العباسي (المكتفي) ، فوقع
(الحسين بن زكرويه) أسيراً ، فحمل إلى بغداد حيث قتل وصلب
فيها عام ٢٩١ هـ ، وهكذا انفصلت دعوة (آل زكرويه) القرمطية
عن دعوة (عبيد الله) القداحية •

وعندما قتل أولاد (زكرويه) خرج أبوهم من مخبئه الذي
اختفى فيه مدةً تقرب من ثلاث سنوات ، وعندما ظهر للناس سجد
له أتباعه المقربون من الذين يبطنون المجوسية ، وهذا دليل على تأليه
القرامطة لدعاتهم ٥٥٥٥ . فأرسل (زكرويه) أتباعه إلى بلاد الشام
فأمعنوا في القتل واعترض طرق القوافل والحجاج ، وارتكبوا من
الفواحش ما يصعب وصفه ، وحاصروا مدينة دمشق ولكنهم عجزوا
عن فتحها ، وأخيراً هزم (زكرويه) ، وقتل عام ٣٠١ هـ بعد أن
عاث في الأرض الفساد ، وتشتت أتباعه فمنهم من انتقل إلى البحرين
ومنهم من سار إلى جبال الكلبية في بلاد الشام فاختلط مع أهلها
الذين تجمعهم بهم رابطة الفكر ، ومنهم من اختفى ثم تحالف مع
القبائل الضاربة في البوادي والقفار أو سار إلى أماكن نائية حيث
ضاع فعله وعاش في عداد السكان الآخرين •

قِرَامِطَةُ الْبَحْرَيْنِ

إن أول ما عرفت فكرة القرامطة في البحرين ، وإن لم تسم بهذا الاسم إذ لم يكن حمدان بن الأشعث القرمطي قد عُرِف بعد وأصبح رأس جماعة نسبت إليه . أول ما عرفت تلك الفكرة كانت على يد شخص نزل البحرين ، وأعطى نفسه اسم (يحيى بن المهدي) ف أظهر التشيع في بداية الأمر ، ثم أعلن أنه المهدي المنتظر ، فظهر أمره ، وأجابه عدد كبير إذ انضم إليه السوق ومن ساءت حالتهم المعاشية وعدد من الشباب الذي أغراه بالفساد التي جعلها مباحة بينهم كما مناهم بالمال وامتلاك الأرض ، وهيا لهم طريق الشهرة بالقوة التي أظهرها إذ زاد عددهم وبدالهم أنهم أصبحوا جماعة يخشى جانبها . وكانت الدولة العباسية قد بدأت في مراحل ضعفها وشغلت بمشكلاتها الكثيرة والجنود هم الذين يسيطرون عليها ولا يهتمهم سوى مصلحتهم الخاصة وتأمين أهوائهم والسير وراءها ، والناس في ترف فكري أشغلهم علم الكلام وزاد ترفهم القعود عن الجهاد وإهمال الحكم لهم لذا كان العوام يسرون وراء كل من يحقق لهم مصالحهم أو يدعي أنه يعمل لذلك .

وكان من الذين اتبعوا يحيى بن المهدي رجل اشتهر أمره كثيراً وهو (الحسن بن بهرام) الذي عرف باسم (أبو سعيد الجنابي)

ويعود في أصله إلى فارس أيضاً فهو من أهل (جتآبا) قرب (سیراف) ، وقد نزل البحرين منفياً من بلاده ، ويعمل بالقراء ، وينتقل من البحرين إلى سواد الكوفة ، وصحب (عبدان) أو (حمدان) وتأثر به ، وعندما عاد إلى منطقته بدأ يدعو إلى القرامطة كأنصار لرفاقهم في جنوبي العراق ، وعندما تجمع حوله عدد من الأتباع بدأ يعيث ورفاقه في الأرض الفساد ، فقتلوا وسبوا في بلاد هجر كثيراً عام ٢٨٦ هـ ، إذ قتل من حوله من أهل القرى ، ثم سار إلى القطيف فقتل من بها وأظهر أنه يريد البصرة ، فجهز إليهم الخليفة العباسي جيشاً كثيفاً جعل عليه (العباس بن عمر الغنوي) ، فانتصر عليه القرامطة ، وأسروا الجيش كله ، واستمر نشاطهم حتى عام ٣٠١ هـ حيث قتل أبو سعيد الجتآبي على يد خادمه بالحمام ، ولم يكتف الخادم بذلك بل عندما قضى عليه خرج إلى خارج الحمام وهمس في أذن رجل عظيم من رؤسائهم يستدعيه بأن مولاه يريده ، فدخل معه الحمام فقتله ، وخرج ودعا آخر من عظمائهم وفعل معه فعلته الأولى إلى أربعة منهم ، فلما استدعى الخامس فطن لذلك فمسك يد الخادم وصاح ، فاجتمع النساء والرجال وحصل بينهم وبين الخادم مناظرات وقتلوه^(١) .

ويبدو أن أبا سعيد الجتآبي وقرامطة البحرين كافة كانوا من أنصار (عبدان) و (حمدان) لذا لم يساعدوا أبناء (زكرويه)

(١) تاريخ أخبار القرامطة لابن سنان . تحقيق سهيل زكار

عندما قاموا بحركاتهم ، وإنما اقتصروا على عملهم منفردين كدعوة خاصة ، لذا فهم أولى من غيرهم بالنسبة الى (حمدان قرمط) •
كان أبو سعيد الجنابي قد عهد من بعده لابنه الأكبر (سعيد) إلا أنه كان ضعيفاً ، فغلبه على ذلك أخوه الأصغر (سليمان) الذي يكتسب بأبي طاهر • دخل أبو طاهر البصرة عام ٣١١ هـ في ألفين وسبعمائة رجل ، فقتل القرمطي من أهلها خلقاً كثيراً ، وبقي فيها ثمانية عشر يوماً يحمل منها ما يقدر على حمله من الأموال والأمتعة والنساء والصبيان ثم رجع إلى بلده ، وقطع عام ٣١٢ هـ على الحجاج طريق عودتهم ، فأخذ منهم أزوادهم وأمتعتهم ، وترك من بقي منهم بلا ماء ولا طعام فمات أكثرهم • ثم دخل الكوفة عام ٣١٣ هـ وبقي فيها ستة أيام تقل خلالها أكثر ما فيها ، ثم عاد ودخلها في العام التالي ، وفعل فيها ما فعله في عامه السابق ، كما استولى على مدينة الأنبار وعين التمر •

هجم القرمطي أبو طاهر عام ٣١٧ هـ على الحجاج يوم التروية (٨ ذي الحجة) في منى ، ونهب أموال الحجيج ، وقتل الحجاج حتى في المسجد الحرام ، وفي البيت نفسه ، ورمى القتلى في بئر زمزم حتى امتلأت بالجثث ، وخلع باب الكعبة ، ووقف يلعب بسيفه على بابها ، وخلع الحجر الأسود ، وأخذ معه إلى بلده (هجر) •

واختلف بعض القرامطة مع بعض عام ٣٢٦ هـ إلا أن أبا طاهر قد استطاع الحفاظ على وضعه ، وتخلص من خصومه ، وهذا ما جعلهم يتمسكون في منطقتهم ويحافظون عليها ، ويمكثون فيها

مدة ، ويتركون الفساد في الأرض وقطع طريق الحجاج والقوافل •
وفي عام ٣٣٢ هـ مات أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي
زعيم القرامطة فخلفه إخوته الثلاثة (سعيد أبو القاسم) و (أحمد
أبو العباس) و (يوسف أبو يعقوب) ، وكانت كلمتهم متفقة ، وفي
عام ٣٣٩ هـ رد القرامطة الحجر الأسود إلى مكانه بعد أن بقي اثنين
وعشرين عاماً •

امتد نفوذ قرامطة البحرين إلى نجد وكانت الدولة الاخيرية
هناك تحت إشرافهم ، كما اخضعوا الحجاز لهم ، ووصلوا الى
بلاد الشام عام ٣٥٧ هـ ، وكان أمرهم آنذاك إلى الحسن بن الحسن
ابن بهرام ، وقد دخل دمشق ، وولى عليها (وشاح السلي) ، ثم
عادوا إليها عام ٣٦٠ هـ ، وسار القرمطي إلى الرملة ومنها اتجه نحو
القاهرة إلا أن جوهر الصقلي قد ردّهم عنها ، وأخذ منهم دمشق •
وكانوا من قبل يمالئون الفاطميين ، وهم الذين أمرهم برد الحجر
الأسود الى مكانه بعد أن ساءت سمعتهم كثيراً في العالم الاسلامي
ولحق الفاطميين في المغرب شيء من سوء تصرفهم •

مات الحسن الأعصم عام ٣٦٦ هـ ، وقام على أمر القرامطة
من بعده ابن عمه جعفر بن الحسن بهرام ، وبدأ وضع القرامطة
يضعف تدريجياً ولولا ضعف الدولة العباسية لانتهى أمرهم منذ
منتصف القرن الرابع الهجري إلا أن التفكك الذي أصاب الدولة
قد جعل أمرهم يطول ، ولكن أوضاعهم كانت مهلهلة والمناطق التي

سيطروا عليها قد تجزأت • وقام في النهاية بالبحرين أحد زعماء
قبيلة بني عبد القيس المشهورة وهو (عبد الله بن علي العيوني)
فاستعان بالخليفة العباسي القائم بأمر الله وقد وجد تجاوباً كبيراً في
نفسه لما يعلمه من أعمال القرامطة وتاريخهم الحافل بالفساد ، كما
استعان بالسلطان السلجوقي (ملكشاه) الذي وجد عنده التجاوب
نفسه — بل كان هذا ضمن مخططه — وجاءت القوات العباسية ،
وساعدت (عبد الله بن علي العيوني) ، وقضت على القرامطة نهائياً
وذلك عام ٤٦٧ هـ ، وزالوا نهائياً •

عقيدة القرامطة

حاول بعض المؤرخين ايجاد عقيدة للقرامطة تجمع بين فرقهم المختلفة وتجمعاتهم في مناطقهم المتباينة لذا وقعوا في تعقيدات واستنتجوا نتائج لم تكن واردة لدى القرامطة أو أوجدوا لهم عقيدة لم يفكروا فيها أبداً ، والواقع أنه لم يكن للقرامطة عقيدة يدينون بها أو مبدأ يؤمنون به ، وإنما كانت عقيدتهم تحقيق رغباتهم وتأمين شهواتهم ، وكان مبدؤهم تنفيذ مخططاتهم التي يعملون من أجلها ، ومع هذا فقد كانوا ينادون ببعض الأفكار أو يظهرون أنهم يعملون من أجلها وأنهم مرتبطون بفكرة معينة وذلك من أجل كسب المؤيدين لهم وايجاد أتباع يصلون من وراءهم وعلى ظهورهم إلى أهدافهم التي يعملون لها .

لقد كانوا يدّعون أنهم يعملون لآل البيت وينادون بإمامة محمد بن اسماعيل ، ولم يكن واقعهم هذا فكل فاعق يدّعي أنه من نسل هذا الإمام ، ويجعل لنفسه شجرة نسب تصل إليه ، وما هي كذلك ، وذلك من أجل أن يكسب تأييداً ، ويستطيع أن يحقق نجاحاً لدى تلك الأوساط الشعبية العامة التي يخيم على أكثرها الجهل والسذاجة والتي تنذر نفسها لآل البيت أو على الأقل تضحّي في كل شيء محبة لآل البيت ظناً منها - لجهلها - أن هذا

يقربها من الله ، وما أكثر القطعان السائمه في كل عصر والتي
يمطّطها الزعماء والمتنفذون ، وأمرهم من يسبق غيره ليرتفع على
ظهور تلك السوائم •

ولقد كان كل طامح يدّعي أنه داعية للرضا من آل البيت فإذا
وجد حوله الأتباع أعلن أنه الإمام المنتظر من أجل أن تكون حوله
هالة كبيرة ويتخذ لنفسه صفة معينة ترفعه عن بقية الأنصار والدعاة
أو فوق مستوى البشر ، ويتخذ لنفسه عدداً من المقرّين إليه أو
الأقرباء الذين يوافقونه فيؤمّنون على كلامه ويصدقون دعواه
فيجعل منهم دعاة له ، وهم يقبلون ذلك لقاء ما يحققونه من مصالح
لهم وشهوات وأهواء ونفوذ وما يحصلون عليه من أموال ومركز
قوة ، أو إذا كانوا من الأبناء والأقرباء فإنهم يحققون لأسرتهم
الرفعة والسيطرة أو الحكم والتسلط •

وحتى يكون هذا الإمام الدّعوي مطاعاً فإنه يعلن لدعائه الذين
ينقلون عنه هذا إلى الأتباع أنه يمكنه القيام بمعجزات ومعرفة
الغيب أو أن فيه بعض صفات الألوهية اكتسبها عن طريق إمامته
المنصوص عليها أو أن روح الله تعالى تحلّ فيه •

ومن أجل أن يجدّ لأعماله المبرر لها فإنهم يقولون بتأويل
النصوص أو يدّعون أن هناك ظاهراً لهذه النصوص يعرفها العوام
والناس جميعاً وباطناً لا يعرفه إلا الإمام ذاته الذي هو مصدر العلم
أو من يطلعه عليها من داعية له أو باب • ولهذا فالقراطة وكل

الفرق الباطنية ينادون بإبطال الرأي حتى لا يكون هناك مجال لكثرة الاختلافات والتعارض في الأقوال ، ويزعمون أنهم يصدرون في كل ما يقولون عن العلم المستمد من الإمام وحده المطلع على حقائق الامور وأسرارها إلا أن تأويلاتهم للامور الدينية لم تسرع على وتيرة واحدة لان بعض الدعاة كان يسمح لهم بالتأويل دون الرجوع إلى الإمام ، أو بالأحرى كان يعرف هؤلاء الدعاة أنه لا يوجد إمام فيؤولون باسمه أو أنهم مفوضون بالتأويل فإذا كثرت حولهم الجموع ادعوا أنهم هم الإمام . ولما كانت روح الله تعالى تحل بالإمام فإنه يسقط عن جماعته الفرائض ويحلّ لهم بعض الذي حرم عليهم من أجل كسبهم إليه وإبقائهم بجانبه فيسبح لهم النساء والاموال أو يدعو إلى شيوعيتها ينتهم في سبيل زيادة الألفة ودوام المودة على حدّ زعمهم وبهذا يمتعون نفوسهم بالشهوات بل يتخيرون لها ما يريدون ويصطفون ما يحبون .

ومع هذا نستطيع أن نقول : إن هذا هو شأن زعماء القرامطة وكبرائهم وأصحاب الأهواء إلا أن العوام وسواد الاتباع فانهم لا يفكرون بهذا بل يسيرون كالسوائم وراء قادتهم يلتهمون العلف الذي يقدم إليهم دون تفكر بحله ومصدره فإذا هزموا وانقرضت دولتهم أو اختفى زعمائهم واستتروا عاشوا كبقية أفراد المجتمع يعتقدون بعقيدته ويدّينون بدينه شأنهم في ذلك شأن المنافقين في كل عهد يسيرون وراء الحاكم وصاحب السلطة ، ويوجدون له المبرر لأعماله ويؤلفون له الكتب ويصلون بها إلى مرحلة من الغلو

والتحريف أكثر مما يريد هو أو يفكر فيه رغبة في الوصول أو محبة في التقرب والزلفى ، فإذا اتتهم عادوا إلى وضعهم الاول ثم بعد مدة وجيزة يلتفون وراء الحاكم الجديد وصاحب السلطة القائم .

ولما كان القرامطة لا يستطيعون إظهار ما في نفوسهم إلا لخاصتهم فإنهم يعلنون أنهم على عقيدة الشعب الذي يعيشون بين ظهرانيه خوفا من انتفاضته عليهم إذا أظهروا مروقهم من الدين ، وكذلك إذا نجحت دعوتهم وأسسوا دولة لهم ، هم أو أية فرقة باطنية أخرى خشوا أن يعلنوا للشعب عما في نفوسهم ، وإنما يعتقدون في آرائهم أو يعدّونها لذلك اتخذ العبيديون (الفاطيون) موقف المعارضة من الذين يقولون بالحلول وأنكروا ذلك ، فقد سجن الإمام عبيد الله المهدي بعض القائلين بالحلول من أهل القيروان ، واستنكر خليفته القائم بأمر الله ما يقوله الاسماعيليون في فارس خلال دور الستر بالوهية الأئمة ومعرفتهم الغيب ، وكثيراً ما أشار العبيديون إلى أن الأئمة من سائر البشر، ولكن هذا لا يمكن أن يخفي ما يقولونه في أنفسهم أمام اتباعهم الخالص أو مؤيديهم التابعين فقد قال المعز لدين الله الفاطمي مخاطباً الحسن الأصم بن أحمد بن الحسن بن بهرام أمير قرامطة البحرين يذكره بولاء آبائه للفاطميين « ألم تعلم أنهم كانوا عباداً لنا أولي بأس شديد ، وأمر رشيد ، وفعل حميد ، يفيض عليهم موادنا وينشر عليهم بركاتنا » .

وأخيراً فهؤلاء القرامطة وأخبارهم وعقيدتهم وآراءهم

ووسائلهم وأهدافهم فهل يؤيدهم إلا ضال ؟ وهل يمدحهم إلا
شقي ؟ وهل يفتخر بهم إلا فاجر عاهر ؟ •
اللهم جنبنا الزلل والشطط ، واهدنا صراطك المستقيم ووفقنا
لما فيه الخير والتوفيق وسداد الرأي والنصح لعبادك المؤمنين ،
واجعل أعمالنا خالصة لوجهك الكريم يارب العالمين •

* * *

المراجع

- | | |
|------------------------------|----------------------|
| • خير الدين الزركلي | الاعلام |
| • مصطفى الشكعة | إسلام بلا مذاهب |
| • ابن كثير | البداية والنهاية |
| • الشاطبي | الاعتصام |
| • ابن سنان - ابن العديم | تاريخ أخباز القرامطة |
| • تحقيق سهيل زكار | |
| • الطبري | تاريخ الطبري |
| • محمد كامل حسين | طائفة الاسماعيلية |
| • عبد الرحمن الجوزي - | القرامطة |
| • تحقيق محمد الصباغ | |
| • الفزالي - تحقيق عبد الرحمن | فضائح الباطنية |
| • البدوي | |
| • محمد عبد الفتاح عليان | قرامطة العراق |
| • ابن الاثير | الكامل في التاريخ |
| • الشهرستاني | الملل والنحل |

كتب المؤلف

سلسلة مواطن الشعوب الإسلامية

(أ) في آسيا:

١ - تركستان الغربية.

٢ - تركستان الشرقية.

٣ - قفقاسيا.

٤ - باكستان.

٥ - أندونيسيا.

٦ - اتحاد ماليزيا.

٧ - فطاني.

٨ - المسلمون في قبرص.

٩ - المسلمون في الفيليبين.

١٠ - جزر المالديف.

١١ - أفغانستان.

١٢ - تركيا.

١٣ - ايران.

١٤ - شبه جزيرة العرب.

- عسير.

- نجد.

- الحجاز.

- البحرين والإحساء والكويت وقطر.

١٥ - المسلمون في الهند الصينية.

١٦ - خراسان.

(ب) في إفريقيا:

١ - غينيا.

٢ - نيجيريا.

٣ - الصومال.

٤ - موريتانيا.

٥ - أرتيريا والحبيشة.

٦ - تشاد.

٧ - تانزانيا.

٨ - السنغال.

٩ - أوغندا.

١٠ - ليبيا.

١١ - السودان.

١٢ - جزائر القمر.

١٣ - المسلمون في بورندي.

١٤ - مالي.

١٥ - سيراليون.

(ج) كتب تاريخية:

- التاريخ الإسلامي.
- ١ - قبل البعثة.
- ٢ - السيرة.
- ٣ - الخلفاء الراشدون.
- ٤ - العهد الأموي.
- ٥ - الدولة العباسية الجزء الأول.
- ٦ - الدولة العباسية الجزء الثاني.

(هـ) كتب ثقافية:

- العالم الإسلامي ومحاولة السيطرة عليه.
- المسلمون تحت السيطرة الشيعية.
- المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية.
- الجماعات البدائية.
- القرامطة.

(و) سلسلة عظماء مجهولون:

- ١ - أبو سيرة.
- ٢ - أبو سلمة.
- ٣ - عبد الله بن جحش.
- ٤ - الزبير بن العوام.
- ٥ - زهير بن أبي أمية.
- ٦ - سعد بن معاذ.
- ٧ - عباد بن بشر.
- ٨ - سهيل بن عمرو.
- ٩ - محمد بن سلمة.
- ١٠ - أسيد بن الحضير.
- ١١ - الفضل بن العباس.
- ١٢ - جعفر بن أبي طالب.
- ١٣ - عبد الله بن الزبير الهاشمي.
- ١٤ - عبد الله بن حذافة السهمي.

(د) كتب جغرافية:

- الكشف الجغرافية.
- العالم الإسلامي.
- العالم الإسلامي (المنطقة العربية).
- العالم الإسلامي (المنطقة العربية-وادي النيل).
- سكان العالم الإسلامي.
- اقتصاديات العالم الإسلامي.
- جغرافية البيئات.